
د. أغر الجمَّال
مائدة الاعتراف
روايـــة
ساحر الكتب

إهداء

إلى نبعٍ من الحنان لا ينضب أبدًا...

إلى أمي ...

أغــــر

(يوم الإثنين)

كان العميد محمود يحتسي قهوته، ويتصفح جرائد الصباح، عندما دخل مكتبه جندي؛ ليخبره عن وجود شخص بالخارج يرغب في مقابلته للأهمية، فسمح له بالدخول.

تقدم الرجل بخطوات متثاقلة وعلى وجهه علامات القلق، فاستقبله محمود بابتسامة؛ ليبعث بداخله الطمأنينة، ومدَّ يده يصافحه وأذن له بالجلوس، وبادره قائلًا:

- هل من خدمة أستطيع تقديمها لك؟

كان لمقابلة محمود الطيبة بالغ الأثر في نفس الرجل، فبدأ يزول عن وجهه القلق قليلًا، وردَّ قائلًا:

- أنا المهندس عادل عبد الحميد الفيومي، عمري 55 سنة، أعمل مهندسًا مدنيًا في إحدي شركات المقاولات الخاصة.

في الحقيقة تردَّدت كثيرًا قبل المجئ هنا، بل في واقع الأمر أنا لا أعرف إن كان عليّ الذهاب لطبيب نفسي أم للمباحث، ولكن شيئًا ما دفعني دفعًا للمجئ هنا، ولربما سمعة سيادتك الطيبة التي نعرفها من صفحات الحوادث في الجرائد، شجعتني على اتخاذ قراري وحضوري لسيادتك.

ابتسم محمود وشكره على مجاملته وطلب منه أن يحكي

له سبب حضوره، فبدأ يقول:

- بدايةً ما سأرويه يندرج تحت ما يُطلق عليه «أمر لا يُصدّقه عقل» ولكن ما حدث معي أول أمس جعلني مضطر أن أحكيه لسيادتك.

بدأت الحكاية معي منذ ثلاثة أشهر تقريبا، عندما حلمتُ بفتاة صغيرة يغتصبها شاب ثم يخنقها ويدفنها في إحدى المقابر، وبعد ثلاثة أيام فوجئت بهذه القصة تتداولها وسائل الإعلام المرئية والمقروءة بنفس التفاصيل التي رأيتها في منامي.

في الحقيقة عشت يومها في حالة من الذهول لم أعشها من قبل، وقصصت على زوجتي ما حدث لكنها سخرت مني، وبرّرت الأمر بأن مثل هذه الحوادث أصبحت مكررة ونراها بصورة دائمة على التلفاز والأمر لا يتعدى مجرد صدفة، وعلى الرغم من عدم اقتناعي لكني استسلمت لمبررها ونسيت الأمر.

استأذن عادل في كوب من الماء بعد أن بدأت أنفاسه تلهث قليلًا، فأمر محمود باحضاره على الفور، شربه واستطرد يقول:

- منذ شهرين تقريبا، إذا بي أرى في أحد أحلامي مقتل

زوج على يد زوجته وعشيقها بطريقة وحشية، وكان أغرب ما في الحلم أني رأيت إلى جوارهما لوحة مكتوب عليها اسم محافظة الدقهلية - علمًا بأني لم أزر هذه المحافظة قط – ولم يمضِ يومان إلّا وأشاهد هذه الحادثة في وسائل الإعلام بنفس الكيفية التي رأيتها في الحلم وفي نفس المحافظة.

ومرة أخرى تسخر مني زوجتي عندما حكيت لها وبنفس مبررها السابق أن تلك الحوادث منتشرة، ولمَّا وجدتني مصمّمًا على أني أرى الأحداث قبل وقوعها، نصحتني بالذهاب لطبيب نفسي، وفي الواقع فكرت جديًّا في هذا الأمر، ولكني تراجعت؛ ليقيني بأني صادق فيما أرويه.

لاحظ محمود أن المهندس عادل بدأ يتوتر من جديد عندما واصل يقول:

- حتى كان أول أمس، عندما حلمت أن الطبيب النفسي الشهير الدكتور أمجد الرفاعي يُقتل بالرصاص وقاتله يقف أمامه شاهرًا مسدسه.

هذه المرة لم أحكِ شيئًا لزوجتي، وقررت أن أذهب للدكتور أمجد أخبره، فإن كنت مريضًا سيعالجني، وإن كنت غير مريض فسيتخذ حذره وأحميه من الموت.

لكن شيئًا ما بداخلي كان يؤكد لي أني لست مريضًا،

وذهابي للدكتور أمجد سيجعله يعتقد أني مريض ولن يأخذ كلامي على محمل الجدّ، فقررت أن أحضر لسيادتك لأضع الأمر كله بين يديك.

ظلَّ محمود يرقب عادل للحظات، سأله بعدها:

- هل لك سابق معرفة بالدكتور أمجد؟

- أعرفه فقط من وسائل الإعلام، فهو ضيف دائم عليها.

- هل أخبرت أحدًا بهذا الحلم.

- لا، على الإطلاق.

سكت محمود برهة وبدا عليه التفكير العميق ثم قال:

- عليك الآن أن تهدأ، وأعدك أني سأفعل ما يلزم، كل المطلوب منك أن تترك بياناتك هنا حتى إذا ما احتجتك لاحقًا، وتذكّر أن مكتبي مفتوح لك في أي وقت، ثم ضغط على أحد الأجراس الموضوعة أمامه، فدخل أمين شرطة، طلب منه محمود تسجيل بيانات المهندس عادل لديه، ثم قام ومدَّ يده مصافحًا عادل الذي شكره على حسن استقباله وانصرف.

***

في السابعة مساء، جلس العميد محمود ينتظر داخل عيادة

الدكتور أمجد الرفاعي، وكان محمود قد اتّصل به وحدد له موعدًا لمقابلته، وبالفعل خرج أحد المرضى من حجرة الكشف وعلى الفور أدخل السكرتير محمود للقاء أمجد الذي استقبله ببشاشة وجه ممزوجة بقليل من الحيرة، فبدأ محمود حديثه قائلًا:

- أعتذر عن هذا الموعد المفاجئ، ولكن في الحقيقة أريد أن أستفسر منك عن أمر في الطب النفسي أحتاجه لحل إحدى القضايا.

ابتسم أمجد وزالت علامات الحيرة من وجهه وقال:

- بكل سرور، اسأل ما شئت.

- هل هناك أشخاص يستطيعون أن أن يتنبؤا بوقوع الأحداث قبل أن تحدث؟

اعتدل أمجد في جلسته وأشعل غليونه وردَّ قائلًا:

- في الواقع هناك ما يُعرف ب -الباراسيكولوجي-، وهو يختص ببعض الظواهر الغريبة التي يدَّعي أصحابها أنهم يتمتعون بها، مثل ظاهرة التخاطر (Telepathy)، وكذلك الحال في ظاهرة التنبؤ بالمستقبل ويسمونها «Pre-Recognition»، ولكن لا يوجد أساس علمي يمكن أن تُبنى عليه مثل تلك الظواهر، هي فقط حالات محدودة

سُجِّلت على مستوى العالم.

- هل قابلت البعض من هذه الحالات؟

ضحك أمجد وقال:

- في الحقيقة أقابل منهم الكثيرين، لكن جميعهم مرضى نفسيين ويتوهمون أن لديهم مثل تلك الظواهر.

سكت محود لحظات ثم سأله:

- هل تعرف شخصًا يُدعى المهندس عادل عبد الحميد الفيومي؟

فكَّر أمجد قليلًا قبل أن يردَّ قائلًا:

- في الحقيقة لا أذكر هذا الاسم وإن كان لدي من المرضى الكثير وربما يكون واحدًا منهم ولا أذكره.

وقف محمود ومدَّ يده يصافح أمجد ويشكره على مساعدته له، وأصرَّ أمجد أن يصحبه حتى باب الحجرة، وفجأة التفت إليه محمود وسأله بنبرة حادة:

- هل لك أعداء يا دكتور؟

ابتسم أمجد وردَّ بلهجة متهكمة:

- يمكنك أن تعتبر كل مروجي المخدرات أعدائي، فأنا أعالج

ضحاياهم من المدمنين فأحاربهم بذلك في رزقهم.

بادله محمود الابتسام وودَّعه وانصرف.

عاد أمجد إلى كرسيه ونظر شاردًا إلى سقف الحجرة وهو ينفث دخان غليونه، وفجأة ارتسمت على وجهه علامات الفزع، وعلى الفور فتح أحد الأدراج في مكتبه، وأخرج منه مسدسًا، أمسكه في يده للحظات، ثم أعاده إلى مكانه وأغلق الدرج، أخذ نفسًا عميقًا، بعدها اتصل بسكرتيره عبر التليفون الداخلي؛ ليسمح بدخول مَن جاء دوره من المرضى.



(يوم الثلاثاء)

استيقظ العميد محمود على رنين موبايله، فنظر في ساعته فوجدها تقترب من الرابعة فجرًا، وكان المتحدث هو اللواء الشوربجي مدير المباحث، فهبَّ جالسًا في فراشه وردَّ:

- آلو

- اعذرني يا محمود أني أيقظتك في هذا الوقت.

- تحت أمرك يا افندم، خير إن شاء الله.

- أبلغوني الآن بوقوع جريمة قتل لطبيب شهير، وفضَّلت أن تتولاها بنفسك؛ لأن القتيل شخصية عامة وسيصبح مقتله حديث الجميع.

وبصوت يحمل نبرة الفزع ردَّ محمود:

- مستحيل، الدكتور أمجد قُتل!

وبنبرة تملؤها الدهشة ردَّ الشوربجي:

- بالفعل القتيل هو الدكتور أمجد الرفاعي، ولكن كيف عرفت يا محمود؟

- هذه قصة طويلة يا افندم سأحكيها لسيادتك لاحقًا، ولكن يجب أن أتوجه الآن لمكان الجريمة.

أغلق محمود مع الشوربجي التليفون بعد أن وعده بالوصول للجاني في أقرب وقت، وكان الشوربجي لا يثق في أحد مثلما يثق في محمود نظرًا لذكائه الحاد في حل الجرائم الغامضة.

استيقظت ناهد زوجة محمود هي الأخرى واستمعت إلى المكالمة التليفونية التي انتهت بحالة من الذهول والوجوم انتابت زوجها، فلمّا سألته عن سبب حالته تلك، ردَّ عليها بصوت شارد وكأنه يأتي من عالم آخر قائلًا:

- لقد تحقق الحلم، بالفعل صدق المهندس **عادل عندما قال «أمر لا يُصدّقه عقل»!**

***

بدأ نور الفجر يتسلل إلى عيادة الدكتور أمجد التي امتلأت برجال البحث الجنائي والأدلة الجنائية، ووقف العميد محمود في أحد الأركان مع الرائد سامح رئيس مباحث قسم مصرالجديدة - التي تقع العيادة في دائرته - يحكي له ملابسات الجريمة فقال:

- تلقينا بلاغًا في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلًا من بواب العمارة يُفيد بمقتل الطبيب، فانتقلت مع رجالي على الفور، وجدت القتيل جالسًا على كرسي مكتبه ورأسه ملقاة

على المكتب، ولا يوجد آثار مقاومة داخل الحجرة.

وقد جاء تقرير الطبيب الشرعي المبدئي أن الوفاة نتيجة انفجار بالمخ، نتج عن إصابة القتيل بطلق ناري في الجبهة، أدَّى إلى وفاته على الفور، والطلق له فتحة دخول وخروج، واستطعنا تحديد وقوع الوفاة بين الساعة العاشرة (حينما تركه سكرتير العيادة) والساعة الحادية عشرة والنصف (وقت اكتشاف الجريمة) وقد تطابق رأي الطبيب الشرعي بالنسبة لتوقيت الجريمة مع تحرياتنا.

- وهل عثرتم على أداة الجريمة؟

- بالفعل، وجدنا طبنجة 9 مللي مزودة بكاتم صوت، وتم إرسالها إلى المعمل ومن المرجح أنها أداة الجريمة.

- مَن اكتشف الجريمة؟

- اتصلت زوجة القتيل به أكثر من مرة ولم يردَّ عليها فانتابها القلق، جاءت فوجدت سيارته أمام العمارة، صعدت ومعها البواب، وجدت باب العيادة مغلقًا، فظلَّت تقرع الجرس دون جدوى، فأمرت البواب بكسر الباب.

أصيبت الزوجة بحالة إغماء عندما رأت زوجها مقتولًا، فاستغاث البواب بأحد السكان من عمارة مجاورة، والذي استدعى الإسعاف وتم نقل الزوجة إلى أحد المستشفيات،

ثم اتصل البواب بنا وأبلغنا بالحادث، كما اتصل بابن القتيل الوحيد وهو طالب في الجامعة الألمانية، فحضر على الفور، ثم ذهب ليطمئن على حالة والدته.

- كم عدد السكان في هذا المبنى؟

- لا يوجد أي سكان، فالمبنى مكون من طابقين فقط، كل طابق به شقة واحدة، العيادة في الطابق الأرضي كما ترى سيادتك، أمَّا الشقة الموجودة بالطابق الثاني فهي مغلقة لسفر صاحبها بالخارج، وغرفة البواب موجودة فوق سطح المبنى.

شاهد محمود شابًا يقف خارج باب العيادة فسأل سامح:

- مَن هذا؟

- بواب العمارة.

- هل استجوبته؟

- نعم، إنسان ساذج وعلى سجيّته، اسمه حسن محمد عبد الخالق، عمره 31 سنة، حضر إلى القاهرة لأول مرة من محافظة الفيوم منذ شهرين، ومن وقتها وهو يعمل في هذه العمارة، متزوج ولديه طفلين.

قام محمود وألقى نظرة سريعة على المكان، بعدها وجَّه

حديثه لسامح قائلًا:

- أرجو استدعاء سكرتير الدكتور واحضاره إلى مكتبي.

- هو بالفعل موجود الآن في القسم، ويقوم زملائي باستجوابه.

- إذن احضره لي في مكتبي بالمديرية فورا.

- تمام يا افندم.

غادر محمود إلى مكتبه وهو لا يفكر إلّا في شيء واحد

»حلم المهندس عادل الذي تحول إلى كابوس«.

***

داخل مكتبه في مديرية الأمن جلس محمود واضعًا رأسه بين كفيه يفكر وهوغير مُصدِّق لما حدث، كان أول ما فعله بعد مغادرته مسرح الجريمة أن اتصل بالمهندس عادل وطلب منه الحضور فورًا لمكتبه دون أن يخبره بشيء.

مرَّت الدقائق عليه طويلًا حتى دخل عليه عادل ووجهه مُتّشحًا بالتوتر والقلق، أشار له محمود بالجلوس دون أن ينطق بحرف، فسأله عادل بصوت يكاد يختنق:

- خير يا افندم؟! فمنذ أن تلقيت اتصالك والساعة لم تكن

بلغت السادسة والنصف صباحًا بعد، وأنا أفكر في سبب هذا الاستدعاء في هذا الوقت، ولم يهدِني عقلي لأي شيء.

ردَّ محمود بصوت تملؤه الحدة:

- ليس بخير يا باشمهندس، حلمك تحقق، الدكتور أمجد قُتل منذ ساعات قليلة.

امتقع وجه عادل وتكلم كما لو كان يهمس قائلًا:

- قُتل! لقد أخبرتك، لماذا لم تصدّقني؟ كان بإمكانك إنقاذه لو صدَّقتني.

وبنبرة هادئة وحاسمة ردَّ محمود:

- حتى وإن كنت لم أصدّقك، فقد اهتممت بما حكيته، ولكن لم يكن في يدي أن أنقذه.

غلّف الصمت جنبات الحجرة للحظات حتى قطعه محمود قائلًا:

- قلت لي أنك رأيت الجاني من ظهره في منامك، فهل يمكنك وصفه؟

فكّر عادل قليلًا وقال:

- أعتقد أنه متوسط الطول يرتدي بذلة، وهذا كل ما أذكره

عنه.

ترك محمود كرسيه وانتقل لكرسي مواجه لعادل، وبعينين جاحظتين ونبرة حادة قال:

- انتبه جيدًا لما أقوله يا باشمهندس، لو تعاملت معك بالعقل والمنطق فأنت المشتبه الأول أمامي، فحتى لو لم تكن أنت القاتل، فأقل تقدير أنك شريك القاتل في الجريمة.

ودليلي ضدك أنك جئت لي تحكي عن تفاصيل جريمة سوف تقع في المستقبل، ثم تحدث الجريمة كما رويتها بالتفصيل، وتدّعي أنك عرفت بالجريمة من حلم، وعلى أرض الواقع لا يمكن لمخلوق أن يصدّق روايتك.

والآن كما أثبتُّ لك دليل إدانتك، عليك أن تثبت لي دليل براءتك.

ارتعدت أوصال عادل بعد سماعه كلام محمود، وبصوت مرتعش قال:

- وكيف أثبت لسيادتك براءتي وليس لدي سوى ما حكيته لك أمس؟

أرجع محمود ظهره وأسنده على ظهر الكرسي، ووضع ساقًا فوق ساق، وتكلم بنبرة هادئة:

- لا أعرف، عليك أن تهدأ وتفكر، وإلّا ليس أمامي سوى أن أوجّه لك تهمة قتل الدكتور أمجد.

أطرق عادل برأسه إلى الأرض، وفكّر قليلًا ثم قال:

- بدايةً لو قلت أن زوجتي شاهدة على أنه لم يكن أول حلم أرى فيه المستقبل، فمن الممكن أن تتهم زوجتي بالاشتراك معي، واختلاق هذه الرواية، وخاصةً أن الحلمين السابقين لجريمتين وقعتا بالفعل منذ فترة.

لكن دليلي على براءتي هو نفس دليلك على اتهامي، فأنت بنيت اتهامك على أمر واحد فقط هو «حكايتي لك التي لا تُصدّق"، وأنا أتفق معك أنها لا تُصدّق.

وأنا أسألك، هل من المنطق أن أحضر إليك لأفعل هذا؟! ألم يكن أسهل لي أن أخطط لقتل الدكتور وأنت لا تعرف عني أي شيء بدلًا من أن أكون أول المتهمين كما تقول؟!

هذا هو دفاعي الوحيد يا افندم، وأذكّرك أيضًا أنه لا يوجد لدي أي دافع لقتل هذا الطبيب، فأنا لم ألتقِ به طوال عمري، ويمكنك أن تتحرى عن هذا الأمر بنفسك.

ساد صمت موحش في الحجرة، ثم وقف محمود وعاد ليجلس على كرسي مكتبه، وبصوت هادئ قال:

- يمكنك الانصراف الآن، وكن مستعدًا لاستدعائك في أي لحظة.

هزَّ عادل رأسه بالإيجاب وخرج يَجرُّ قدميه دون أن ينطق بحرف، قبل أن يصل الباب استوقفه محمود وسأله:

- هل معك صورة شخصية؟

اندهش عادل، ثم أخرج حافظته، وبحث فيها، فوجد صورة صغيرة ناولها لمحمود، تَفحَّصها بين يديه واستأذنه في الاحتفاظ بها.

***

غادر عادل المكتب تاركًا محمود غارقًا في تفكير عميق، دافنًا رأسه بين كفيه، عله يجد تفسيرًا لما يحدث، لم يُخرجه من هذه الحالة إلّا دخول الرائد سامح برفقة شاب متوسط الطول، يميل إلى النحافة، بدا على وجهه القلق والرعب.

لم تكن تلك المرة الأولى التي يلتقيه محمود فقد قابله مساء أمس عندما زار القتيل، أذن له محمود بالجلوس، وجلس سامح على الكرسي المقابل له، وبدأ محمود يسأل:

- اسمك وعمرك وحالتك الاجتماعية؟

- أشرف ابراهيم المعداوي، 34 سنة، متزوج وعندي طفلة

عمرها أربع سنوات.

- منذ متى تعمل سكرتيرا مع القتيل؟

- تقريبًا منذ خمس سنوات.

- ما هي مواعيد عملك وما طبيعته؟

- أعمل من السبت للأربعاء من الساعة الثالثة عصرًا حتى العاشرة مساءً، أمّا عن طبيعة عملي فأنا أنظم مواعيد كشوفات المرضى، بالإضافة إلى تجهيز الملفات الطبية الخاصة بهم، كما أقوم بعمل المشروبات التي يحتاجها الدكتور.

- هل يعمل معك شخص آخر؟

- لا، البواب فقط يقوم بتنظيف العيادة كل يوم عند فتحها.

- وما هي مواعيد عمل الدكتور أمجد؟

- في أغلب الأيام من الساعة الخامسة حتى العاشرة، ولكن في بعض المرات يضطر للتأخر عن المجئ ولكنه يلتزم بالمغادرة في العاشرة، واضطر في هذه المرات لتأجيل بعض المرضى؛ لأن الدكتور يقوم بالكشف على عدد ثابت يوميا (عشرة مرضى) بواقع حوالي نصف ساعة لكل مريض.

- هل معنى كلامك أنك تغادر يوميًا مع القتيل في الساعة

العاشرة؟

- لا، الدكتور كان يُنهي أخر كشف قبل العاشرة قليلًا، وأنصرف أنا في تمام العاشرة لأني أسكن بعيدًا، ويجلس هو لبعض الوقت في العيادة ينصرف بعدها.

- مَن كان أخر مريض؟

- في التاسعة والنصف كان أخر مريض هو المستشار خيري، رجل في السبعين من عمره، يتردد على العيادة منذ فترة بمعدل زيارة كل شهر، يعاني من الاكتئاب بسبب الوحدة، ويكتب له الدكتور كل شهر بعض الأدوية.

ولكن في الساعة التاسعة والربع تقريبًا، اتّصلت بي سيدة وتحدثت معي بطريقة متوترة وعصبية وطلبت كشف عاجل وترغب في الحضور، اعتذرتُ لها وأخبرتها أن الدكتور ليس لديه وقت ويمكن أن يراها في يوم آخر.

لكنها صمَّمت على طلبها، وتحت إلحاحها اتصلتُ بالدكتور وأخبرته، فوافق شريطة أن تأتي قبل العاشرة، وطلب مني أن أرتب ملفًّا لها قبل مغادرتي، وبالفعل نفذت ما أمرني به.

في العاشرة إلا عشر دقائق اتّصلت هذه السيدة مرة أخرى؛ لتخبرني أنها على بعد أقل من عشر دقائق من العيادة، وحدّثتني في هذه المرة بلطف بالغ، فأخبرتها أني سأترك

الباب مواربًا وتستطيع هي الدخول.

قاطعه محمود وسأله:

- ألم تقل أن الدكتور كان يلتزم بأن يُنهي عمله قبل العاشرة؟

- في بعض الأحيان كان يقوم بعمل بعض الاستثناءات مثل ما حدث مع هذه المريضة.

- أكمل حديثك.

- وبالفعل أبلغت الدكتور بأمر السيدة وسلّمته الإيراد اليومي وانصرفت.

- كم كان الإيراد؟

- خمسة آلاف جنيه موجودة في ظرف أبيض.

- هل استعلمت من هذه السيدة عن أي بيانات خاصة لتُجهّز لها الملف؟

- فقط عرفت أن اسمها مدام حنان، وعمرها 35 سنة.

- كيف علمت بمقتل الدكتور؟

- فوجئت بالشرطة تطرق باب شقتي في الخامسة فجرًا واصطحبوني إلى القسم، بعد أن أخبروني بمقتل الدكتور

أمجد.

سكت محمود، وأمعن النظر في عيني أشرف، ثم قال:

- من المؤكد أنك صُدمت بخبر مقتل الدكتور فأنت تعمل معه منذ فترة ليست بالقصيرة، ولكن أرجو أن تفكر جيدًا قبل أن تجيب على سؤالي هذا، هل توقعت يومًا مقتل الدكتور؟

ودون تفكير ردَّ:

- على الإطلاق، فالدكتور كان رجلًا عطوفًا وليس له أعداء.

- مَن إذاً تظن أنه قتله؟

- من المؤكد المريضة الأخيرة هي التي قتلته، ولكن لا أعرف لماذا.

- هل لديكم كاميرات داخل العيادة؟

- لا.

فكَّر محمود قليلًا ثم سأله:

- كيف تعرّفت على الدكتور؟

بدا الارتباك على أشرف ثم ردَّ بصوت يكسوه بعض الخجل:

- في الحقيقة كنتُ مدمنًا، وعالجني الدكتور أمجد في أحد

المستشفيات الحكومية، وعندما تعافيت تمامًا، ساعدني وجعلني أعمل في عيادته، فأنا حاصل على دبلوم تجارة.

- هل لديك عمل آخر؟

- في فترة الصباح أعمل سائقًا على سيارة أجرة.

- هل لاحظت أي تغيير في تصرفات الدكتور أمس أو مؤخرًا؟

- لا، كان طبيعيًا كعادته.

أنهى محمود التحقيق مع أشرف وسمح له بالانصراف، ثم نظر إلى الرائد سامح وابتسم قائلًا:

- قبل أي شيء، الآن علينا أن نتناول إفطارنا، فماذا تريد؟

شكره سامح، وطلب ساندوتشات فول وطعمية، فاستدعى محمود أحد الجنود وأرسله ليحضر لهما الساندوتشات، بعد أن انتهيا من طعامهما، طلب محمود فنجانين من القهوة، وبدأ حديثه مع سامح:

- أريد أن أعرف رأيك في الجريمة؟

- في الغالب يا افندم هي جريمة قتل بدافع السرقة، فبعد تفتيش العيادة، لم نعثر على النقود التي تحدث عنها السكرتير، إلى جانب أن ابن القتيل أخبرنا أن والده كان معه

جهازي محمول لم نجدهما، بالإضافة إلى أنه يرتدي ساعة لم تكن موجودة في يده أيضًا، ولكننا وجدنا في أحد أدراج المكتب المغلقة مسدسًا مرخصًا خاص بالطبيب.

- هل كانت أدراج المكتب كلها مغلقة؟

- نعم، ماعدا درج واحد فقط كان مفتوحًا، وأظن أنه الدرج الذي احتفظ فيه القتيل بالنقود، والمفاتيح كانت موجودة في جاكيت القتيل.

- هل تم فتح هذا الدرج عنوة؟

- لا، كان الدُرج سليمًا.

- هل تم سرقة أي أشياء أخرى؟

- لا، لا توجد في العيادة سوى مكتبة كبيرة بداخلها ملفات المرضى ومفتاحها مع السكرتير وكانت مغلقة ولم يتم فتحها، إلى جانب جهازي كمبيوتر أحدهما خاص بالطبيب والأخر بالسكرتير وكانا في مكانيهما.

أخرج محمود مفكرته الصغيرة ودوّن بها بعض الملاحظات ثم قال لسامح:

- عليك بالاستعلام عن تليفون المدعوة حنان التي اتصلت بالعيادة، ولا تنسَ أيضًا أن تتأكد إن كانت هناك كاميرات

في مدخل العمارة أو في العمارات الملاصقة؛ لعلنا نرى هذه السيدة، كما أريد بيان بالتليفونات التي اتصلت بأمجد أخر أسبوع.

- تمام يا افندم.

- ماذا عن زوجته، هل تحسنت؟

- علمت منذ دقائق أنها خرجت من المستشفى وتوجهت إلى منزلها.

هبَّ محمود واقفًا وقال:

- إذن دعنا نذهب لها على الفور.

***

أمام إحدى العمائر في شارع جانبي من شارع الميرغني بمنطقة مصر الجديدة، وقفت سيارة العميد محمود وخرج منها بصحبة الرائد سامح، كانت العمارة مكونة من أربعة طوابق، ومدخلها حديقة صغيرة.

في الطابق الثاني حيث تقع شقة الدكتور أمجد، كان باب الشقة مفتوحًا على مصرعيه، بينما اكتظت الشقة بالأهل والمعارف، استقبل ابن الدكتور أمجد الضابطين فطلب منه محمود لقاء والدته بصورة منفردة، وفي حجرة المكتب

جلس محمود إلى جوار سامح وبعد لحظات جاءت زوجة الدكتور أمجد.

سيدة متوسطة الجمال، بدا على وجهها حزن يغلّفه إعياء شديد، تعكس ملامحها عن شخصية قوية حاسمة، مدَّت يدها في ثبات وصافحت الضابطين، عرَّفها محمود بنفسه، وبعد أن قدَّم لها مواساته في زوجها، قال:

- أعتذر بشدة عن مجيئي في هذا الوقت، ولكن لكل دقيقة ثمنها حتى نصل للقاتل في أسرع وقت ونقتص للمرحوم.

هزَّت الزوجة رأسها في انكسار، وقالت ودموعها تنساب على خديها:

- تحت أمرك في أي سؤال.

- هل عرَّفتِني بنفسكِ؟

- اسمي هويدا محمد الطرابلسي، عمري 48 سنة، تزوجتُ أمجد وأنا أدرس في كلية الألسن، وأنجبت ابني الوحيد لؤي وهو طالب في كلية الهندسة بالجامعة الألمانية، عملتُ لبعض الوقت كمترجمة فورية ثم تفرغت بعد ذلك لشئون المنزل.

- عرفت أنكِ مَن اكتشفتِ الجريمة، فهل يمكن أن تخبريني عما حدث بالتفصيل؟

مدَّت هويدا يدها والتقطت منديلًا ورقيًا جففت به دموعها وبدأت تحكي:

- عندما تأخر أمجد أمس اتصلتُ به فوجدت تليفوناته مغلقة، وعندما تكرر هذا الأمر عدة مرات اتصلت بتليفون العيادة فلم يردّ أحد، على الفور اتصلت بأشرف سكرتير العيادة، علمت منه أن هناك مريضة من المفترض أن ينتهي منها أمجد في العاشرة والنصف، وكانت الساعة أنذاك تقترب من الحادية عشرة والربع.

توجهت فورًا إلى العيادة والتي تبعد عن المنزل خمس دقائق بالسيارة، وصعد معي البواب ووضعت يد على جرس الباب وبيدي الأخرى أطرق عليه، وعاودت الاتصال بتليفونيه ولكنهما كانا مُغلقين، فطلبتُ من البواب أن يكسر الباب، وما إن فُتِحَ الباب، اندفعت إلى الداخل فرأيت أمجد.

هنا توقفَتْ عن الحكي وانهارت في البكاء، هدأتْ بعد قليل، وناولها محمود كوبًا من الماء كان أمامه، فشربت وواصلت كلامها:

- لم أشعر بشيء بعد ذلك إلّا وأنا في المستشفى، وبعد أن تحسنت حالتي عدت لمنزلي، ونحن الآن ننتظر استخراج إذن الدفن، وقد أخبرونا أنه من المتوقع أن نستلمه مساء اليوم.

- هل كان هناك أي أعداء للمرحوم؟

- لا، على الإطلاق.

- هل كان المرحوم طبيعيًا في أخر أيامه؟

- كان طبيعيًا جدًا.

- في اعتقادكِ ما هو الدافع وراء القتل؟

- من المؤكد كان الدافع هو السرقة، فقد أخبرني لؤي أنه تم سرقة إيراد العيادة وساعة يده وجهازي المحمول.

- هل تتهمين أحدًا أو تشكين في أحد؟

- لا.

- وماذا عن أشرف السكرتير، هل تعتبرينه فوق مستوى الشبهات؟

بدا على هويدا الارتباك قليلًا وبصوت مغلف بنبرة شك قالت:

- نعم، فهو معنا منذ فترة طويلة وكان أمينًا على الدوام.

وقف محمود ومن بعده سامح، وكرر محمود على هويدا تعازيه لها ثم انصرفا.

بمجرد أن ركب محمود السيارة قال لسامح:

- استدعي أشرف في الحال، لابد أن نعرف لماذا أخفى علينا اتصال هويدا به؟ ولماذا ترددت هويدا في رأيها عندما سألتها عنه؟

هزَّ رأسه واستطرد:

- أنا واثق أن أشرف لديه الكثير ليخبرنا به.

ردَّ سامح بهدوء وثقة:

- أعتقد أن القضية بسيطة وواضحة جدا، فالدافع هو السرقة، وأشرف هو المخطط والمنفذ، أو يكون له شريك، وبقليل من الضغط سيعترف بسهولة.

شرد محمود بعينيه بعيدًا، وردَّ بصوت أقرب للهمس:

- كانت ستكون بسيطة لولا حلم المهندس عادل الفيومي.

نظر له سامح بدهشة وسأل:

- حلم؟

لم يكن محمود يشعر بسامح في هذا الوقت، فقد كان يسبح بفكره في مكان آخر، فلم يردّ.

***

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية عشرة ظهرًا، بينما كانت رشا تعاود الاتصال بأمجد دون جدوى، ففي كل مرة تجد تليفونيه مغلقين، بدا التوتر الشديد عليها وأخذت تنفس دخان سيجارتها بعصبية بالغة، بدأت تهمس لنفسها:

(ماذا أفعل؟ باقي أربع ساعات وأمجد لا يردّ).

فجأة.. ألقت تليفونها بعصبية على مقعد بجوارها، وهرولت نحو غرفتها، بدّلت ثيابها على عجل وغادرت شقتها، قادت سيارتها بسرعة جنونية وهي تهمس لنفسها:

(سأعرف كيف أجدك يا أمجد).

***

دخل أشرف مكتب العميد محمود بصحبة الرائد سامح، تركه محمود واقفا لبعض الوقت وأخذ يقلّب في أوراق أمامه ليزيد من توتره البادي عليه منذ دخوله المكتب، بعدها رفع عينيه عن الأوراق، ثم نظر إلى أشرف متفحّصًا من أعلى إلى أسفل، وفجأة طرق بيده على مكتبه وبنبرة حادة قال:

- عليك أن تتذكر أننا أمام جريمة قتل وكل الشواهد تدل أنها وقعت بدافع السرقة، ولعلمك أنت أقرب المشتبه فيهم، وبالرغم من ذلك تركتك صباح اليوم تنصرف بعد تحقيقي معك؛ لأني افترضت فيك الصدق والصراحة، لكن بعد أن

اكتشفت عدم وضوحك معي، أحذرك للمرة الأخيرة إن لم تخبرني بكل الحقيقة فسيكون مكانك السجن.

اصفرَّ لون أشرف، وارتعدت أوصاله، وقال بنبرة مرتعشة:

- أقسم لك يا افندم أني بريء.

تأكد محمود أنه بلغ مراده من تهديد أشرف، لكنه استمر على تجهمه وقال بنبرة حادة:

- لا يهمني قسمك، أنا هنا مَن يحدد إن كنت بريئًا أم مذنبًا.

- أنا على استعداد لفعل أي شيء تأمرني به يا افندم؛ كي أثبت لسيادتك براءتي.

أشار محمود لأشرف أن يجلس، وبدأ يتكلم بنبرة أقل حدّة قائلًا:

- عليك فقط أن تخبرني بالحقيقة وبكل ما تعرفه، ودعني أبدأ بسؤالك عن سبب إخفائك أن زوجة القتيل اتصلت بك لتطمئن على زوجها عندما تأخر؟

طأطأ أشرف رأسه لأسفل، وتكلم وهو يتحاشى النظر لمحمود قائلًا:

- هي لم تتصل بي، أنا الذي اتصلت بها.

نظر له محمود باندهاش قائلًا:

- هل تتهمها بالكذب؟

رفع أشرف رأسه ونظر لمحمود بعينين منكسرتين وقال:

- سأحكي لك يا افندم من البداية، اعتدت في مرات كثيرة أن أتردد على منزل الدكتور أمجد لأقوم بتوصيل بعض الأشياء التي يكلفني باحضارها، وكانت زوجته تعاملني بكثير من العطف والكرم، ومنذ ستة أشهر تقريبًا، تعرضتُ لضائقة مالية، وبمجرد أن عرفتْ مني، أعطتني مبلغًا من المال ساهم كثيرًا في أن أتجاوز هذه المحنة، واعتبرتُ تصرفها معي دَينًا في رقبتي.

لم يمضِ سوى أيام على هذا الأمر، فوجئتُ بها تتصل بي، وتطلب مني أن أنقل لها أخبار الدكتور وكل مَن يتصل به.

قاطعه محمود وسأل:

- أي أخبار تريد أن تعرفها زوجته؟

بنبرة مترددة أجاب أشرف:

- الحقيقة يا افندم الدكتور كان ضعيف أمام النساء، وزوجته كانت تغار عليه بشدة ولها كل الحق، فهي طلبت مني أن أنقل لها أي شيء بخصوص هذا الشأن.

- وهل نفذت طلبها؟

- أفهمتني أن هذا العمل سيحمي الأسرة من الانهيار ويحافظ على البيت؛ لأنها ستتجنب وقوع المشاكل مبكرا، وللحق صدّقتها، وكنت سعيدا لأني أحافظ على بيت الطبيب الذي عالجني والسيدة التي وقفت معي في محنتي، وعندما عرضَت عليّ مبلغا ماليا نظير هذه الخدمة، رفضت في البداية بشدة، ولكنها صمّمت بل وخصّصت لي راتبًا شهريًّا.

- هل كانت علاقات الدكتور عابرة، أم أنها علاقات تستديم لفترات؟

- معظمها كانت عابرة، ولكن منذ ثلاثة شهور تقريبا، نشأت علاقة ظلّت مستمرة.

سكت أشرف عن الكلام، وجال ببصره بين محتويات المكتب، وفجأة نظر لمحمود ونطق هامسًا:

- أعتقد أن الدكتور كان من المفترض أن يتزوج اليوم الثلاثاء الثالث من إبريل.

وقع الخبر على رأس محمود كالصاعقة، ولكنه تمالك نفسه ولم تتغير ملامح وجه، وسأل بصوت هادئ:

- يتزوج مَن؟

- مدام رشا.

- مَن هي رشا؟

- مريضة كانت تتردد على العيادة وهي مُطلّقة بحسب علمي.

- وهل أبلغت زوجته بهذا الأمر؟

- أبلغتها بالطبع، والعجيب أنها منذ شهر تقريبا بدأت تُسفّه لي من هذا الأمر كلَّما تابعتها بالأخبار، ولم تُبدِ أي اهتمام، على الرغم أني حذرتها أكثر من مرة أن هذه المرأة قصتها تختلف مع الدكتور عن الباقيات.

- وكيف عرفت أن القتيل كان سيتزوج اليوم؟

- كنت أضع له فنجان قهوة على مكتبه وكان في الحمّام، ونسى موبايله مفتوحًا على رسالة له من رشا، قرأتها وفهمتُ أن اليوم موعد عقد قرانهما.

- وهل أخبرت زوجته؟

- الشيء الغريب والعجيب أني أخبرتها، فاستقبلت كلامي بالضحك والسخرية، ونفت تماما أن زوجها من الممكن أن يتزوج من غيرها .

- ولماذا كلمتها أمس؟

- هذا هو اتفاقي معها، أن أبلغها فورا بأي سيدة جديدة تأتي متأخرة للعيادة، كذلك عندما أشك في سلوك الدكتور مع أي مريضة، ولذلك أخبرتها بالسيدة التي اتصلت بي.

فكَّر محمود طويلًا قبل أن يسأل:

- ألم يتعرض الدكتور لمشاكل بسبب علاقاته النسائية المتعددة؟

شرب أشرف كوبًا من الماء، ورفع رأسه ينظر إلى سقف الحجرة يحاول أن يتذكر وفجأة.. خبط بيده على جبينه قائلًا:

- تذكرت يا افندم، منذ ما يقرب من ستة أشهر، فوجئت بزوج إحدى المريضات يدخل العيادة وكانت زوجته تنتظر دورها في الكشف، وإذا به يجذبها من ذراعها ويصرّ على مغادرتها للعيادة، حاولتُ تهدئته لكنه لم يهدأ، وغادرت معه زوجته حتى لا يتطور الأمر.

- هل جاءت هذه المريضة للعيادة مرة أخرى؟

- ربما جاءت مرة واحدة ولكن في الحقيقة لا أذكر، ولكن ما أذكره جيدا أن بعد يومين من هذه الواقعة، حضر زوجها وأصرّ على مقابلة الدكتور ووافق الدكتور على مقابلته،

وبقي مع الدكتور حوالي ثلاث دقائق، وعلى الرغم أني لم أسمع صوتًا لشجار أو صوتًا عاليًا، فإن الزوج خرج من حجرة الدكتور والشرر يتطاير من عينيه، وعندما دخلت أطمئن على الدكتور، كلّمني بحدة وعصبية ولم يذكر بخصوص الرجل أي شيء.

- هل تذكراسم المريضة؟

- نعم، مدام داليا.

- وهل كانت على علاقة خاصة مع القتيل؟

- أتذكر أن علاقتها به بدأت تتطور في أخر زيارتها، فهي لم تستمر معنا كثيرا، وعلى العموم يمكننا أن نتأكد من ملفها.

فجأة أخرج محمود من حافظته صورة المهندس عادل، ناولها لأشرف وسأله:

- هل رأيت هذا الرجل من قبل؟

نظر إليه طويلًا ثم ردَّ:

- لا، لم أره قط.

أرجع محمود رأسه للخلف على مسند مقعده وفكر قليلًا، بعدها طلب من سامح استخراج إذن من النيابة لفتح عيادة القتيل، ثم طلب من أشرف انتظاره خارج مكتبه ليصحبه

إلى العيادة لاستخراج ملفي رشا وداليا.

***

قادت رشا سيارتها بتهور بالغ، وكانت بين الحين والأخر تحاول أن تتصل بأمجد دون جدوى، وأخيرا توقفت سيارتها أمام أحد المستشفيات الخاصة التي يعمل بها، وبمجرد أن أخبرها موظف الاستقبال بنبأ وفاته، انتابتها حالة هيستيرية، وظلَّت تصرخ في موظف الاستقبال مُكذّبة ما يقول، فالتفَّ حولها جمع من الناس في محاولة لتهدئتها، لكنها تركتهم وهي تتهمهم جميعا بالكذب والجنون.

جلست أمام عجلة القيادة وظلَّت تضحك بعصبية، ودون أن تخطط لشيء وجدت نفسها تذهب لمنزل أمجد، وهناك التقت بالبواب عند مدخل العمارة وبمجرد أن أخبرها بمقتله، لم تنفعل كما حدث معها من قبل، ولكنها ظلَّت محدقة في عينيه لا تنطق، وفجأة سقطت مغشيًا عليها.

***

في شقة متواضعة مكونة من حجرتين وصالة في حيّ السيدة زينب، جلس هاني في بلكونة صغيرة ملحقة بغرفة نومه يتأمل الشمس وهي على وشك الرحيل، ينقل بصره بين قرص الشمس تارة وبين شاشة موبايله تارة أخرى.

مرَّتْ ساعة منذ أن قرأ خبر عاجل على أحد المواقع الإخبارية الالكترونية عرف منه بمقتل الدكتور أمجد الرفاعي، لم تستقر ملامح وجهه على حال، فلحظات ترتسم على وجهه علامات النصر، ولحظات أخرى تتبدل بعلامات الكراهية والغضب.

لم يكن هذا قاصرًا على ملامح وجهه بلا كانت مشاعره أكثر تخبطًا، لكن شعورًا وحيدًا تمكَّن منه، ولم يستطع أن يقاومه، هو شعور القلق.

غاب قرص الشمس تمامًا، فحملق هاني في موبايله لحظات، أخذ بعدها نفسا عميقا ثم اتصل برقم لم يتصل به منذ شهور، وجاء صوت أنثوي على الطرف الأخر يردّ، ودار بينهما الحوار التالي:

- آلو

بصوت مرتعش ردَّ هاني:

- كيف حالكِ؟

بصوت ثابت ردَّت:

- بخير، لماذا تتصل بي؟

بنفس النبرة المرتعشة ردَّ:

- لأن القلق يكاد يفتك بي، وأرجوكِ أن تجيبيني بصراحة.

بنبرة عصبية ردَّت:

- هل ستعاود أسئلتك القديمة؟!

- لا، هل علمتِ بمقتل أمجد؟

- نعم.

وبصوت منفعل اندفع يسألها:

- هل أنتِ مَن قتلتِه؟

وبهدوء شديد ردَّت:

- دعني أسألك أنا، هل كان أمجد يستحق القتل أم لا؟

على الفور ردَّ:

- بالطبع يستحق القتل مائة مرة.

وبنبرة ساخرة ردَّت:

- لكنك لم تفعل يا هاني؛ لأنك ضعيف، أما أنا فامرأة قوية تكره الضعفاء، ولذلك لا أريد أن تتصل بي مرة أخرى.

أغلقت التليفون وبقيّ هاني في حالة من الذهول والشرود.

***

جلس محمود بصحبة سامح في صالة انتظار عيادة أمجد، بينما كان أشرف يقوم بفتح الكمبيوتر الخاص به ليستخرج منه بيانات المريضتين، استغرق قليلًا من الوقت ليتذكر اسم داليا بالكامل حتى لا يختلط ملفها مع ملف مريضة أخرى، وبعد أن حصل على البيانات أخرج الملفين من مكتبة كبيرة خلف مكتبه، وأعطاهما لمحمود الذي سأله:

- هل هناك أي معلومات أخرى بخصوص المريضتين في مكان آخر، أم فقط في هذين الملفين؟

- جميع المعلومات داخل هذين الملفين فقط، فالدكتور كان لا يستخدم الكمبيوتر لتخزين معلومات عن المرضى.

سرح محمود قليلًا ثم سأل أشرف:

- هل تمتلك سجل لكل ملفات المرضى؟

- بالطبع يا افندم، فكما رأيت سيادتك أنا أستخدم الكمبيوتر في عملي على عكس الدكتور، ولدي ملف به أسماء كل المرضى منذ أن عملت هنا، مُرتب بالحروف الأبجدية ليسهل عليَّ استخراج أي ملف عندما يرغب الدكتور.

أخذ محمود يتصفح الملف على الكمبيوتر، ويقرأ الأسماء بصورة عشوائية ولكنه في الحقيقة كان يبحث عن اسم بعينه... اسم «عادل عبد الحميد الفيومي»... لكنه لم يجده.

***

أعاد محمود غلق العيادة بالشمع الأحمر، وسمح لأشرف بالانصراف لمنزله، لكنه بمجرد ركوبه السيارة طلب من سامح وضع أشرف تحت المراقبة اللصيقة، فسأله سامح:

- ولماذا لم تضعه في الحجز يا افندم حتى الانتهاء من القضية؟

ابتسم محمود وردَّ:

- هو الآن مقتنع أني صدّقته في كل ما قاله، وبالتالي بقاؤه في الخارج سيجعله يتصرف بحرية ومن الممكن أن نصل من خلاله لمعلومات تفيدنا.

- معنى هذا أنك تشك فيه يا افندم؟

وبنبرة الخبير ردَّ:

- تعلمت يا سامح أن أظلَّ أشك في كل فرد له علاقة بالقضية، حتى أنتهي منها تمامًا.

***

التفَّ مجموعة من المارة مع البواب في محاولة منهم لإفاقة رشا من نوبة الإغماء التي أصابتها، ولمَّا باءت

محاولتهم بالفشل حملوها لمنزل الدكتور أمجد، ظنًّا منهم أنها من أقاربه أو معارفه.

امتقع وجه هويدا، واتسعت عيناها عن أخرهما وهي تنظر لرشا والناس يحملونها ويضعونها على أول أريكة في مدخل الشقة، وبعصبية شديدة سألت البواب عنها، فحكى لها ما حدث، استنكرت بشدة تصرفه باحضارها للمنزل وهم لا يعرفوها على الإطلاق.

سارع أحد الموجودين بالشقة - وكان طبيبا - بالكشف عليها، فوجدها تعاني من هبوط حاد، فأشار بضرورة نقلها للمستشفى فورا، وبالفعل تم استدعاء سيارة اسعاف حملتها إلى مستشفى قريب من المنزل، واضطر البواب أن يرافقها ليكون مسؤولا عنها.

***

في مكتبه بمديرية الأمن، استدعى محمود أحد المترجمين، فترجم له ملفي رشا وداليا في وقت وجيز؛ حيث لم يكن مكتوبًا بداخلهما الكثير.

لفت انتباه محمود أن تشخيص الحالتين كان «اكتئاب بسيط»، وأيضا أن الدكتور سجَّل ملاحظات قليلة في أول ثلاث زيارات فقط لكلا المريضتين، بينما اكتفى فقط

بتسجيل تاريخ الزيارة دون تسجيل أي ملاحظات في كل الزيارات اللاحقة، بالرغم من تعددها.

ولكن أكثر ما لفت انتباهه، أن معدل الزيارات يبدأ بزيارة واحدة أسبوعيًا، وبعد ثالث أسبوع تصبح الزيارة بصورة شبه يومية، وأن هذا حدث مع المريضتين.

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة ليلا، عندما فتح الرائد سامح الباب ودخل مكتب محمود والابتسامة تعلو وجهه، وقال:

- لحسن الحظ أن المحل المجاور لعمارة القتيل، وضع كاميرات مراقبة أمس فقط، وحصلتُ على تسجيل من ظهر يوم الجريمة إلى ظهر اليوم، وبعد مراجعة التوقيتات التي أدلى بها أشرف وزوجة القتيل، ووجدتها تتطابق مع المشاهد، فأمرت أحد الفنيين بعمل مونتاج للجزء الخاص بهذه المشاهد.

ناول سامح القرص المدمج لمحمود، وضعه داخل الكمبيوتر، وبدأ تشغيله، كانت الصورة على بُعد، فجاءت الملامح غير واضحة، لكن الصورة أظهرت:

الساعة العاشرة دخلت المدعوّة حنان العمارة، وهي سيدة ذات شعر بني طويل، ترتدي بالطو وبنطال، أخفت ياقة

البالطو معظم معالم وجهها، تحمل شنطة يد كبيرة نسبيًّا في كتفها.

الساعة العاشرة ودقيقة خروج أشرف من العمارة.

الساعة العاشرة وعشر دقائق حنان تغادر العمارة مهرولة.

الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة هويدا زوجة الطبيب تدخل العمارة.

الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة عربة إسعاف تتوقف ويخرج منها مُسعفين.

الساعة الحادية عشرة وخمسة وأربعين دقيقة خروج هويدا محمولة على سرير عربة الإسعاف.

أعاد محمود مشاهدة الشريط أكثر من مرة، ثم أغلق الكمبيوتر ونظر لسامح وسأله:

- ما رأيك؟

بابتسامة عريضة ردَّ:

- تأكدنا الآن يا افندم من صدق حكاية أشرف بشأن المدعوة حنان التي اتصلت به، ومن المؤكد أنها هي القاتلة، وخاصة أنها مكثت منذ دخولها العمارة وحتى خروجها منها عشر دقائق فقط، ولا يمكن أن يكون هذا وقتًا كافيًا للكشف.

بالإضافة لأمر هام أودُّ أن أخبرك به، فقد حصلت على تقرير من شركة الاتصالات أفاد بأن الرقم الذي اتصلت به المدعوة حنان بالعيادة، هو رقم تليفون عمومي من كابينة قريبة من العيادة.

هزَّ محمود رأسه في يأس وقال:

- بالفعل يا سامح كل الأمور تُشير إلى أن المدعوة حنان هي القاتلة، ولكن ألم تلحظ أن أشرف خرج في العاشرة ودقيقة واحدة، وحنان دخلت في العاشرة ولم يقابلها أشرف كما ادّعى.

- من الممكن جدًا يا افندم أن يكون صعد للبواب في حجرته للحديث معه، فالمسألة كلها فرق دقيقة.

هزّ محمود رأسه بالموافقة، ثم قال:

- عليك ترتيب لقاء مع داليا ورشا صباح باكر في منزليهما، أو في أي مكان تختارانه.

بنبرة استغراب ردَّ:

- ولما لا أحضرهما في مكتبك يا افندم؟

ابتسم محمود قائلًا:

- خارج مكتبي سأحصل منهما على معلومات أكثر في هذه المرحلة.

بصوت غير مقتنع ردَّ سامح:

- أمرك يا افندم.

***

تحسست رشا رأسها بيدها، كانت تشعر بصداع شديد، تلفتت بعينيها حولها، أدركت أنها داخل حجرة بمستشفى، بدأت تتذكر ما حدث لها، اعتدلت بصعوبة حتى تمكنت من الجلوس في فراشها، رنت جرس مُعلّق بجوارها، فحضرت بعد لحظات ممرضة والابتسامة تعلو وجهها وبادرتها قائلة:

- حمدا لله على سلامتكِ.

سألتها رشا بصوت واهن:

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة ليلًا.

أشارت رشا للممرضة على كانيولا مُثبّتة في يدها ومُعلّق بها محلول طبي وقالت:

- أرجو أن تنزعي هذا؛ لأني أريد أن أغادر المستشفى.

- لا يمكن، فلابد أن تقضي معنا الليلة.

بدا الانفعال على رشا، وبنبرة حادة قالت:

- انزعي هذا، لابد أن أمشي من هنا.

هدّأتها الممرضة وأخبرتها أنها ستستدعي لها الطبيب المسؤول، وغادرت الحجرة مهرولة وعادت بعد لحظات قليلة بصحبة الطبيب الذي بدأ حديثه مع رشا قائلًا:

- مدام رشا، لقد جئتِ المستشفى تعانين من حالة هبوط حاد نتج عن صدمة عصبية، والحمد لله الآن حالتكِ مستقرة ولكن من الأفضل أن تبقي معنا الليلة.

بنبرة أقل انفعالا ردَّت:

- أنا أشعر بتحسن، وأكره الإقامة بالمستشفيات.

تحت إصرارها، وافق لها الطبيب على الخروج بعد أن كتب لها دواءًا مهدئًا تستخدمه قبل النوم.

قامت الممرضة بتسليمها جميع متعلقاتها، وعرفت منها بأن البواب الذي رافقها للمستشفى أحضر سيارتها ووضعها أمام المستشفى، ثم قامت بتسديد فاتورة العلاج وغادرت.

ألقت جسدها المنهك على الفراش داخل غرفة نومها، وحملقت في السقف والوجوم يكسو وجهها، مرَّ شريط

الأحداث أمام عينيها منذ أن ذهبت للمستشفى الخاص تسأل عن أمجد، ثم ذهابها إلى منزله ولقائها بالبواب، وهنا هبَّت جالسة في مكانها فقد تذكّرت أن البواب أخبرها أن أمجد قُتل، شردت قليلًا وهمست في سرها تُردد

»أنا أعرف القاتل... أنا أعرف القاتل«.

***

(يوم الأربعاء)

في الثامنة صباحًا، دخل الرائد سامح إلى مكتب محمود وبعد أن حيَّاه بدأ كلامه قائلًا:

- حددت موعدًا مع داليا في التاسعة واختارت فندق البارون مكانًا للقاء، أمَّا بخصوص رشا فلم تردّ على التليفون طوال أمس ولكنها ردَّت صباحًا، وحددتُ معها موعدًا في العاشرة والنصف، ولحُسن الحظ فهي تسكن قريبًا من فندق البارون.

- مَن منهما كانت تعلم بمقتل أمجد؟

- كلتاهما كانتا تعلمان.

هبَّ محمود واقفًا وقال:

- دعنا نذهب للقاء داليا فالمسافة من هنا طويلة.

وصل محمود وسامح إلى فندق البارون قبل التاسعة بخمس دقائق لكنهما وجدا داليا في انتظارهما تجلس في اللوبي واستطاعا أن يتعرفا عليها، ثم بدأ محمود معها الحديث قائلًا:

- بدايةً يجب أن تعلمي أن هذا ليس بتحقيق وإلّا كنت استدعيتكِ إلى مكتبي، ولكن من المؤكد أنكِ تستطيعين

مساعدتي للوصول إلى القاتل.

بنبرة تملؤها الدهشة ردَّت:

- ولكن كيف سأساعدك في الوصول للقاتل وأنا لا تربطني أي علاقة بالدكتور سوى أني كنت مريضة عنده وانقطعت صلتي به منذ نحو ستة أشهر؟!

ابتسم محمود وقال:

- دعي هذا الأمر لي، وكل ما أطلبه منكِ أن تكوني صريحة معي في أي سؤال أسأله، وألّا تُخفي شيئا مهما كان بسيطًا.

ردَّت بنبرة استسلام:

- تحت أمرك في أي سؤال.

جاء النادل فسأل محمود داليا عن طلبها فاختارت عصير برتقال، أمّا هو وسامح فطلبا قهوة تركية، بعدها بدأ محمود كلامه قائلًا:

- أريد أن تُعرّفيني بنفسكِ.

- أنا داليا أحمد النشرتي، والدي رجل أعمال معروف، عمري 28 سنة، درست إدارة أعمال في الجامعة الأمريكية، عملت بإحدى شركات السيارات الكبرى لفترة خمس سنوات، ثم تركتها وأعمل الآن مع والدي في شركاته.

- كيف تعرفتِ على الدكتور أمجد؟ وما سبب المشاجرة التي حدثت بينكِ وبين زوجكِ داخل عيادته؟

أخرجت علبة سجائر من شنطة يدها، أشعلت سيجارة ثم ردَّت:

- تعرفتُ على زميل في شركة السيارات التي كنت أعمل بها، نشأت بيننا قصة حب، وعلى الرغم من الفارق الاجتماعي بيننا لكني صمَّمت على الزواج منه رغمًا عن أهلي، عشت معه ستة أشهر اكتشفت فيها أنه لم يكن الشخص الذي أحلم به، منعني عن الطلاق منه خجلي من أهلي فقد كانوا ضد هذه الزيجة، بدأت أعصابي تنهار، قررتُ الذهاب لطبيب نفسي فذهبت للدكتور أمجد، وكان ذلك منذ تسعة أشهر تقريبًا.

جاء النادل ووضع المشروبات على الطاولة وانصرف، فشربت داليا بعض الماء وأردفت:

- بعد ما يقرب من شهر من زياراتي للدكتور أمجد، بدأت حالتي النفسية تتحسن، وذات مرة وأنا في العيادة أنتظر دوري للكشف، فوجئت بزوجي أمامي يجذبني من يدي ويتشاجر معي أمام المرضى ويطالبني بمغادرة العياده معه، فانصعتُ له خوفًا من الفضيحة، ولكن لم أعُد معه إلى المنزل، وعشت في شقة مفروشة لمدة شهرين.

قاطعها محمود وسألها بخبث:

- ولكن ما سبب إصرار زوجكِ على أن تغادري العيادة ولا تستكملي علاجكِ؟

أشعلت داليا سيجارة أخرى في عصبية واضحة وردَّت:

- الغيرة العمياء بسبب عُقَد النقص التي تملؤه، جعلته يغار عليّ من كل شخص، حتى من طبيبي المعالج.

- هل ذهبتِ للعيادة بعد هذه المرة؟

- لا، فقد اتصل بي الدكتور وأخبرني أن زوجي ذهب له العيادة وهدّده، فاعتذرتُ له ومن وقتها لم أره.

- وكيف تصالحتِ مع زوجكِ بعد ذلك؟

- لم أتصالح، طلبت منه الطلاق، لكنه رفض، فرفعت قضية خُلع وطلّقته.

- هل تزوجتِ مرة أخرى؟

- لا.

سكت محمود وأخذ يرتشف القهوة بتلذذ ثم قال:

- هل هذا كل ما لديكِ؟

بثبات وهدوء ردَّت:

- نعم.

نادى محمود على النادل ودفع له الفاتورة، ثم وقف ومدَّ يده مصافحًا داليا وشكرها على تعاونها، وقبل أن يتركها سألها:

- ما هو اسم طليقكِ؟ وأين يسكن؟

- »هاني منصور البحراوي«، ثم كتبت له العنوان في ورقة صغيرة وأعطتها له.

في سيارة محمود بدأ سامح الحديث قائلًا:

- أعتقد أنها كاذبة يا افندم.

- تستطيع أن تقول أنها قالت بعضًا مما لديها، فهي تُخفي الكثير، لكني سأعرفه حتمًا، ولكن علينا الآن أن نتوجه سريعًا لرشا.

***

أمام إحدى العمائر في شارع الحجاز بمصر الجديدة، توقفت سيارة محمود، وأمام شقة في الطابق الثامن رنَّ محمود جرس الباب.

استقبلت رشا الضابطين بوجه شاحب وعينين متورمتين

من أثر البكاء، بدأ محمود الحديث بتقديم التعازي لها ثم قال:

- علمت أنه كان من المفترض أن يتم عقد قرانكِ من المرحوم أمس، فهل هذا صحيح؟

بعينين شاردتين وصوت كأنه يأتي من عالم أخر ردَّت:

- نعم، لكنها فجأة كأن ثعبان لدغها وانتبهت من شرودها وقالت:

- لكن كيف عرفت بهذا الأمر، ولا يعرفه مخلوق سوى أمجد وأنا؟!

- أعتقد أن هناك مَن كان يتجسس على أمجد ولذلك تسرب الخبر.

ردَّت على الفور:

- من المؤكد أنها زوجته الحرباء.

- على أية حال أرجو أن تساعديني حتى نقتص سريعًا للمرحوم.

بصوت منكسر ردَّت:

- تحت أمرك.

- هل عرفتِني بنفسكِ؟

- اسمي رشا أحمد عبد الله، عمري 32 سنة، مطلقة، أعمل محاسبة في أحد البنوك الخاصة.

- كيف تعرّفتِ على المرحوم؟

- منذ ثلاثة أشهر تقريبًا، كنتُ أمر بأزمة نفسية، فذهبت لأمجد في عيادته، واستطاع في وقت قصير أن يعالجني من حالة الاكتئاب التي كنت أعاني منها، ومع الأيام نشأت بيننا قصة حب واتفقنا على الزواج.

بدأت دموعها تسيل بغزارة، وساد الصمت لحظات حتى استعادت هدوءها، فتكلم محمود قائلًا:

- اعذريني يا مدام رشا فيما سأقوله، فمن الأمور المؤكدة أن المريضة التي في مثل ظروفكِ قد تقع في حب طبيبها المعالج، وواقعيًا لا يكون هذا حُبًّ.

خرجت ابتسامة باهتة من بين شفتيها وقالت بصوت حزين:

- تحدثت مع أمجد في هذا الأمر، ولكنه أكّد أن ما بيننا هو حُبّ حقيقي.

- وماذا عن فارق العمر بينكما، فالفارق يقترب من عشرين

عام؟

- لم أشعر بهذا الفارق لحظة واحدة مع أمجد، وكذلك هو.

- ذكرتِ أن أمر زواجكما كان في السرّ، فهل كان التخطيط لزواج عرفي أم رسمي؟

بنبرة تحمل بعض العصبية ردَّت:

- زواج رسمي بالطبع، كل ما في الأمر أنه طلب مني أن يكون سِريًّا لبعض الوقت حتى يرتب أمور بيته.

- هل كان يرتب للانفصال عن زوجته؟

- نعم، فهو لم يكن سعيدًا معها، بل أنها هددته ذات مرة بالقتل.

وباندهاش سألها محمود:

- لماذا؟

- في إحدى مشاجراته معها، أخبرها أنه يوما ما سيطلقها ويتزوج بأخرى، فهددته ساعتها بالقتل.

- ألهذه الدرجة كانت تحبه؟

- لا، لم يكن حُبَّ، كانت تخاف على ثروته فهي امرأة أنانية وطماعة.

- هل أمجد مَن أخبركِ بهذا؟

- بالطبع، فأنا لا أعرفها.

- هل تحدثيني عن زواجكِ السابق؟

- تزوجتُ منذ سنة تقريبًا بشخص تعرفت عليه من خلال بعض الأصدقاء، يمتلك معرض للسيارات، عشتُ معه ستة أشهر، كانت اسوأ فترة في حياتي، فهو إنسان سادي، تستطيع أن تصفه بكل الصفات السيئة.

تسبب لي في كل الأزمات النفسية التي تعرضت لها، ولم أحصل منه على الطلاق إلّا بعد تحرير محاضر له في قسم الشرطة لتعديه عليّ بالضرب، وللأسف لم أتخلص منه بعد، فهو دائم ملاحقتي بالتليفونات.

- هل علم بعلاقتكِ بأمجد؟

- نعم، فقد فوجئت به منذ أسبوع يتصل بي، ويطلب مني أن أقطع علاقتي بأمجد وإلّا سينتقم مني.

حدَّق محمود فيها وسألها:

- هل تشكين في أحد في قتل أمجد؟

بهدوء وثقة ردَّت:

- صدّقني لن يخرج القاتل عن واحد من اثنين، إمَّا هويدا زوجته أو حسام طليقي.

وقف محمود وصافحها شاكرًا لها تعاونها، وقبل انصرافه أخذ منها بيانات طليقها.

***

ما أن ركب الضابطان السيارة، حتى تكلم سامح بصوت يائس قائلًا:

- كنت أراها قضية سهلة، ولكن اليوم أصبحت قضية معقدة.

هزَّ محمود رأسه موافقا وعقَّب:

- لكني من أول يوم أراها قضية من أصعب القضايا التي واجهتها.

انفعل سامح قليلًا وقال:

- ولكن يا افندم في البداية كانت كل القرائن تشير إلى أنها جريمة قتل بدافع السرقة، وعادةً مثل هذه الجرائم يكون الوصول فيها للقاتل أمرًا سهلًا.

وبهدوء شديد ردَّ محمود:

- ولكن السرقة لم تكن هي الدافع للقتل.

وباندهاش بالغ سأله سامح:

- وكيف توصلت لهذا يا افندم؟

- وضعت أمامي ثلاثة سيناريوهات:

الأول أن الجاني خطط للسرقة فقط والقتل جاء اضطراريًا، وهذا يتنافى مع الواقع؛ لأن الجاني كان يعلم بوجود الدكتور بالعيادة، فاستبعدت هذا السيناريو.

والسيناريو الثاني أن الجاني خطط للقتل بدافع السرقة، وفي هذه الحالة لن تكون سرقة الإيراد اليومي وجهازي محمول وساعة يد، لأنه لا يُعقل أن يخطط الجاني ويرتكب جريمة قتل عقوبتها الإعدام من أجل هذه الأشياء البسيطة، ولكن لابد أن يكون القتل من أجل سرقة أشياء ثمينة يُخفيها الطبيب في عيادته.

وهذا يتنافى مع الواقع أيضا؛ لأن لو هذا هو ما قصده الجاني، لكان أول ما فعله هو فتح جميع أدراج المكتب، فالأدراج المغلقة أكثر إغراءً لأي سارق، لكنه اكتفى بما هو أمامه فقط، بل لم يقُم بأية محاولة للتفتيش في أي مكان في العيادة.

فكان السيناريو الثالث هو الوحيد الذي أقنعني، وهو أن الجاني أراد أن يوهمنا أن الهدف من القتل هو السرقة.

نظر سامح له باعجاب شديد، وقال:

- معك كل الحق يا افندم، ولكن ما هي خطوتنا القادمة؟

- أريد أن ترتب لي موعدًا مع طليق رشا في معرضه في السادسة مساء، ومع طليق داليا في منزله في الثامنة ليلًا.

- تمام يا افندم.

- بالمناسبة، ماذا عن أسرة القتيل؟ هل انتهوا من تصريح الدفن؟

- تم استخراج تصريح الدفن في وقت متأخر من مساء أمس، ولكن زوجة القتيل أصرَّت على دفنه ليلًا، ومن المقرر إقامة مراسم العزاء اليوم.

- إذن نترك زوجة القتيل اليوم ونرى ما لديها باكر.

غادر سامح عند مقر عمله بقسم شرطة مصر الجديدة، وانطلق محمود بالسيارة هامسًا في سرّه:

«أتمنى أن أجدها بمفردها».

***

في شارع عمر بن الخطاب بمنطقة السبع عمارات أوقف محمود سيارته، نزل منها، وأخرج ورقة صغيرة من جيب بذلته، وتأكد أنه أمام العنوان الصحيح.

أمام باب شقة عُلّقت عليه لوحة خشبية مكتوب عليها «المهندس عادل الفيومي» رنَّ محمود جرس الباب، وبعد لحظات فتحت سيدة في أوائل الخمسينيات الباب، أخرج محمود بطاقته وعرَّفها بنفسه وطلب منها الحديث لبضع دقائق، بان عليها الهلع وسمحت له بالدخول، وبمجرد أن جلس أمامها بدأ حديثه على الفور؛ حتى يُزيل عنها قلقها فقال:

- أعتذر بشدة عن مجيئي دون سابق موعد وفي عدم وجود المهندس عادل، ولكن الحقيقة أني تعمدت ذلك؛ لرغبتي في التحدث معكِ على انفراد.

ازداد ارتباكها، وقالت بنبرة متلعثمة:

- طمئني أرجوك، ماذا حدث مع عادل؟

ابتسم محمود يُهدّئ من روعها وقال:

- لم يحدث شيئًا على الإطلاق، كل ما في الأمر أن المهندس عادل قام بزيارتي وقصَّ عليَّ حكاية أغرب من الخيال بخصوص حلم له، رأى فيه حادثة قتل لطبيب، وعلى

الرغم من أن ما رواه لا يُصدّقه عقل لكني في الحقيقة أصدّقه، لذا جئت أتأكد منكِ من بعض الأمور.

هدأت الزوجة وزال عنها التوتر وردَّت:

- بالفعل يا افندم، لقد تكرر معه هذا الأمر مرتين في السابق وحكى لي، لكن في الحقيقة لم أصدّقه، لكنه لم يحكِ لي عن حلمه الأخير هذا، ربما لأنه يعلم برأيي مُسبقًا.

باندهاش ردَّ:

- ألم يحكِ لكِ الحلم حتى بعد أن قُتل الطبيب؟!

خرجت منها صرخة مكتومة وقالت:

- قُتل، هل تحقق حلمه هذه المرة أيضًا؟!

- لكني استدعيته أمس في وقت مبكر، ألم يُخبركِ بالأمر؟

- زوجي يستيقظ مع صلاة الفجر، ويجلس في غرفة المعيشة حتى موعد خروجه للعمل في الثامنة، بينما عادة أستيقظ أنا في السابعة، وبالفعل سألته أمس عن سبب خروجه المبكر فأخبرني أنه لأمر يتعلق بعمله.

نظر محمود لها بتمعن وسألها:

- وما هو رأيكِ الآن؟

باندهاش شديد ردَّت:

- في الحقيقة هو أمر لا يصدّقه عقل، ولكن أعترف الآن أنه حقيقة ليس لديَّ لها تفسير.

- هل كان المهندس عادل طبيعيًا في الفترة الأخيرة؟

- نعم، فمنذ تزوجته من أكثر من ثلاثين عام، لم يتغير في سلوكياته يومًا واحدًا.

- هل لديكما أبناء؟

اغرورقت عيناها بالدموع وردَّت بصوت منكسر:

- بعد زواجنا عانينا كثيرًا من عدم الإنجاب، حتى رزقنا الله بعد عشر سنوات ابنا كان طالب في كلية الهندسة، ولكن توفاه الله في حادث سيارة منذ تسعة أشهر.

واساها محمود وشكرها بشدة، وانصرف.

***

خلف مكتب زجاجي فخم وُضِعَت عليه لوحة زجاجية مزخرفة مكتوب عليها «حسام البنهاوي»، جلس حسام يرحب بالضابطين بوجه يعلوه بعض القلق بسبب هذه الزيارة المفاجئة، وبدأ محمود حديثه قائلًا:

- بدايةً أنت بعيد تمامًا عن قضيتنا، ولكن لأننا نتبع كل خيط من الممكن أن يفيدنا فقد جئناك.

ابتسم حسام لأول مرة بعد أن زال عنه القلق وقال:

- تحت أمرك يا افندم في أي شيء.

- بالأمس قُتل طبيب نفسي شهير هو الدكتور أمجد الرفاعي، ومن التحريات عرفنا أن الجريمة وقعت عشية زواجه من طليقتك رشا.

بدا انزعاج شديد على وجه حسام، وأخرج سيجارة من علبة سجائره وأشعلها بعصبية وقاطع محمود قائلًا:

- لقد انقطعت صلتي بمطلقتي تمامًا منذ ما يقرب من ستة أشهر، فما صلتي أنا بهذا الأمر؟!

ابتسم محمود وردَّ:

- أرجو أن تهدأ، وسبق أن أوضحتُ أننا نمضي وراء أي خيط له علاقة بالقضية، وجريمة القتل تمت قبل يوم واحد من زواج القتيل بمطلقتك، فيجب أن نعرف كل شيء بخصوص مطلقتك.

استمر حسام على انفعاله وقال:

- فلتذهب إليها وتعرف منها.

بعينين يتطاير منهما الغضب، ونبرة صوت مغلَّفة بالحدّة والحسم، ردَّ محمود:

- من الواضح أنك لم تستوعب حتى الآن أننا أمام جريمة قتل، وأنا الوحيد الذي أقرر مع مَن أتكلم، بل لو شئتُ أن أقبض عليك لفعلت، حتى لو كنت ترى أن ليس لك علاقة بالجريمة.

لكن منهجي في عملي أن أسعى بنفسي لمن أرغب في معاونته، لكن الواضح أنك ترفض التعاون معي.

نزل الرعب في قلب حسام واهتزَّت السيجارة في يده، وردَّ على الفور:

- على الإطلاق يا افندم، أنا تحت أمر سيادتك، فقط اعذرني لأني لا أطيق سماع سيرة مطلقتي وهذا سبب انفعالي في البداية.

وبنفس النبرة الحادة سأل محمود:

- ولماذا لا تطيق سماع سيرتها؟

نظر حسام شاردًا، وأخذ يعبث بأوراق موضوعة على مكتبه، وبدأ حديثه دون أن يرفع عينيه قائلًا:

- تعرفتُ على رشا من سنة ونصف تقريبًا، كانت أرقّ وأجمل

فتاة عرفتها، لم يمضِ على معرفتنا ستة أشهر إلّا وأصبحت زوجتي، واستمر زواجنا ستة أشهر.

بعد مرور شهر واحد على زواجنا تبدّلت إلى مخلوقة أخرى، أصبحت غيورة بشكل جنوني، تختلق الأكاذيب، عصبية بصورة لا تُحتمل، لدرجة أنها أصيبت بانهيار عصبي في إحدى المشاجرات التي أصبحت طقوس يومية بيننا، مما اضطرني لإيداعها بأحد المستشفيات الخاصة لمدة أسبوع.

سكت قليلًا يلتقط أنفاسه ثم أردف:

- وبسبب حبي الشديد لها تحمّلتها وتعاملت معها على أنها مريضة، حتى حدث في أحد الأيام وكنتُ عائدًا من عملي، فإذا بها تقابلني بعاصفة من الصراخ وتتهمني بتدمير حياتها ومستقبلها.

حاولتُ تهدئتها لكنها هجمت عليّ وحاولت أن تعتدي عليّ بالضرب، فلمّا حاولت أن أدفعها بعيدًا سقطت على الأرض وأصيبت بجرح بسيط في رأسها، جريت نحوها لأسعفها، لكنها هرولت تصرخ خارج المنزل وتركتني في حالة ذهول.

بعد ساعتين فوجئت بأمين شرطة يأتي حاملًا استدعاء لي من قسم الشرطة بتهمة الاعتداء على زوجتي.

في قسم الشرطة انفردت بها لأسألها عن سبب تصرفها

هذا وأنا لا أصدّق ما فعلته، فإذا بها تنهار في حالة من البكاء الشديد وتطلب مني الصفح عنها لأنها كانت غائبة عن وعيها في كل ما فعلته، وبالفعل عدنا إلى المنزل بعد أن تم تحرير محضر صُلح.

الحقيقة فكرتُ لحظتها في أن أطلّقها؛ لأن الأطباء أجمعوا أنها ليست بالمريضة النفسية ولكنها تتميز بالعصبية، ولكن في اليوم التالي فوجئت بها تتبدّل وتعود رشا التي أحببتها، واستمرت على هذا الحال فترة من الوقت كانت من أجمل أيام حياتي، ولكن فوجئت بها تعاود عصبيتها وبدأت في تناول المهدئات.

وفي أحد الأيام، إذا بها تفتعل معي مشاجرة عنيفة سمع فيها جميع الجيران صوتنا، ثم هرولت إلى المطبخ وأحضرت سكينا وجرحت نفسها جرحًا سطحيًا، وفتحت الباب وغادرت الشقة تصرخ، والجيران يشاهدون ويسمعون.

لم تمرّ ساعة إلّا وحضرت قوة من قسم الشرطة للقبض عليّ بتهمة الشروع في قتلها، في القسم رأيتها تجلس هادئة وكأن شيئًا لم يحدث.

انتحى بي ضابط القسم جانبًا ونصحني أن أحاول أن أتصالح معها لأن المحضر ضدي تمامًا؛ لأنها استعانت بشهادة الجيران إلى جانب أنها ضمَّنت للمحضر المحضر التي حررته

لي في السابق بالتعدي عليها بالضرب.

ذهبتُ وجلستُ بجوارها أستفسر منها لماذا تفعل معي ذلك، ففوجئتُ بها تطلب مني مليون جنيه وورقة طلاقها مقابل تنازلها عن المحضر، لم يكن أمامي سوى القبول، فحررت لها شيكا بالمبلغ وأحضرنا المأذون في القسم وطلقتها.

هزَّ رأسه في أسى وأردف:

- أعتقد أنك تتفهم الآن لماذا لا أرغب في ذكر سيرتها.

لم ينطق محمود وكان الوجوم يكسو وجهه، وبعد لحظات صمت سأله:

- ألم ترها أو تتصل بها بعد ذلك؟

- لا، على الإطلاق.

نظر محمود في عينيه محدّقا وسأله:

- ما رأيك في أنها ادَّعت أنك اتصلت بها من أسبوع تهددها إذا استمرت في علاقتها بأمجد؟

انفعل وردَّ:

- كاذبة، مجنونة، لم يحدث هذا مطلقا.

هزَّ محمود رأسه، ثم وقف ومن بعده سامح وصافحاه،

ورافقهما حسام حتى باب المعرض الخارجي ثم عاد وجلس على كرسيه، أشعل سيجارة ونفث دخانها في غضب وهمس قائلًا:

«لماذا تُصرين على أن أغضب منكِ يا رشا؟!».

***

»هاني منصور البحراوي، 30 سنة، محاسب في إحدى شركات السيارات«

هكذا عرَّف هاني نفسه للعميد محمود كما طلب منه، جلس على كرسي صغير يتصبب عرقًا بينما انتابت يديه رعشة خفيفة، وجلس محمود أمامه على أريكة متواضعة وإلى جواره سامح، داخل صالة صغيرة في منزله.

ابتسم محمود قائلًا:

- لما هذا القلق يا هاني، وأنا أعرف أنك رجل شجاع ذهبت للدكتور أمجد وهددته في عيادته بسبب طليقتك، بل ذهبت لطليقتك وأجبرتها على ترك العيادة بعد أن تشاجرت معها أمام المرضى؟

بدأت دقات قلبه في التسارع، وحاول أن يخفف من عرقه المتساقط بتجفيفه بمنديل يرتعش في يده، وردَّ قائلًا:

- لأول مرة يا افندم أجلس أمام ضابط مباحث، وهذا سبب قلقي، أمَّا بخصوص ما بدر مني مع زوجتي في العيادة فهو تصرُف أي زوج شرقي يغار على زوجته، وبالرغم من اعترافي بذهابي للدكتور في عيادته، لكن لم أهدده قط، طلبتُ منه فقط أن يترك زوجتي وشأنها.

ابتسم محمود وقال:

- أنا لا يهمني إن كنت هددته أم لا، المهم أني جئتك لأنك لست متَّهمًا في شيء، ولو كنت متَّهمًا لاستدعيتك في مكتبي، فعليك بالهدوء لأني أريد منك المساعدة.

كان لكلام محمود في نفس هاني وقع السحر، فاختفت الرعشة من يديه وجفَّ عرقه، وقال ببشاشة:

- أنا تحت أمرك يا افندم.

- أريدك أن تخبرني بصراحة تامة لماذا دبَّث في نفسك الغيرة على زوجتك من القتيل؟

طأطأ رأسه ونظر في الأرض وقال بصوت خجول:

- بسبب رسالة رأيتها بالصدفة على موبايلها، أرسلها لها أمجد.

- ماذا كتب فيها؟

- كتب لها بالحرف »كنتِ بالأمس غاية في الجمال«.

- هل واجهت زوجتك؟

- بالطبع، وكنت منفعلًا جدًا.

- وبما علّقت؟

- استهزأتْ من كلامي، وبرّرتْ الرسالة بأنها لا تزيد عن كونها مجاملة من طبيب نفسي لمريضته، بغرض الرفع من روحها المعنوية.

- وهل صدّقت تبريرها؟

- بالطبع لا، وطلبت منها أن تقطع زيارتها له لكنها لم تستجب، وكان هذا سبب ذهابي لها في العيادة.

- ألم تكن متشددًا في أن تطلب من زوجتك عدم استمرار علاجها عند طبيب تسبب في شفائها بسبب هذه العبارة، خاصةً وأنها قدمت لك تبريرًا من الممكن أن يكون مقبولًا؟

- كانت طليقتي تذهب إلى العيادة بمعدل زيارة واحدة أسبوعيًا لمدة شهر، لاحظتُ بعدها أن الزيارات أصبحت شبه يومية، ربطتُ ذلك بالعبارة التي قرأتها، فأيقنت أن الطبيب له غرض غير شريف من زوجتي.

فردَّ محمود مُستغربًا:

- وهل زوجتك قاصر حتى لا تستطيع أن تحكم بنفسها على سلوكيات الطبيب معها؟!

بتلقائية ردَّ:

- داليا أشبه بالملاك، لا تعلم عن ألاعيب الرجال شيئًا، فهي حسنة النية بدرجة لا حدود لها.

وبنبرة متهكمة ردَّ محمود:

- وما رأيك أني التقيت بها صباحًا ولم أجد في شخصيتها شيئًا مما تقوله؟!

- صدّقني يا افندم، داليا التي قابلتها اليوم تختلف تمامًا عن داليا التي كانت زوجتي، لقد تسببت تجربتها مع هذا الطبيب في تغييرها بشكل كامل.

- ماذا تقصد بتجربتها مع الطبيب؟

تنهد تنهيدة طويلة وحكى:

- بعد أن أجبرتها على مغادرة العيادة، لم تعُد معي إلى المنزل وأصرّت على الطلاق، أخبرتني بأنها ستقيم في أحد الفنادق لمدة عدة أيام حتى ترتب سكنًا، فتصورت أنها في حالة غضب ستزول بعد فترة.

تتبعتها بسيارتي وعرفتُ مكان إقامتها، راقبتها في اليوم التالي فوجدتها ذهبت لأمجد مرة أخرى، فلم أرغب في افتعال مشكلة معها.

وفي اليوم التالي ذهبتُ وقابلتُه، أخبرته بما أصبح عليه الحال بيني وبين زوجتي بسببه، وبمنتهى البرود استخفَّ بكلامي، و برَّر أن ما حدث بيننا ليس بسببه، ولكن لأن داليا لا تُحبُّني، بل نصحني بضرورة انفصالي عنها من أجل مصلحتها، فاتّهمته بالجهل وتركته غاضبًا.

حاولتُ التصالح مع داليا مرارًا وتكرارًا، لكنها كانت تردّ علي توسلاتي بكلمة واحدة «طلّقني»، حتى انفصلنا بعد شهرين.

بقيتُ أراقبها لكن على فترات متباعدة، وفي إحدى المرات رأيت أمجد يأتي إلى العمارة التي تسكن فيها ورأيتها تستقل معه سيارته، انطلقتُ خلفهما حتى وصلا إلى أحد الفنادق بطريق اسكندرية الصحراوي، بقيت بالخارج أنتظرهما، وطال انتظاري لأنهما غادرا الفندق والشمس توشك على المغيب.

لحظتها اشتط عقلي وغلى الدم في عروقي ورغبت في قتلهما معا، لكن ضعفي كان أقوى من غضبي، ومن يومها لم أرها مرة أخرى.

غلّف الصمت المكان فقطعه محمود قائلًا:

- كيف عرفت بمقتل أمجد؟

- من خلال المواقع الإخبارية الإلكترونية.

- وماذا كان شعورك؟

تردد قليلًا قبل أن يردَّ:

- فرحة كبيرة.

- هل اتصلت بطليقتك بعد مقتله؟

- لا.

شكره محمود وانصرف مع سامح.

***

في السيارة، بادر سامح قائلًا:

- ما هذا يا افندم، حسام الكاذب أم رشا؟!

وعلى الجانب الآخر هل هاني هو الساذج الذي لم يفهم أن طليقته ندمت على زواجها منه، أم أن داليا هي الساذجة التي غرَّر بها أمجد ودمَّر بيتها؟!

وكيف كانت هويدا تتجسس وتغار على زوجها، ثم تستهزأ

بأشرف عندما يخبرها بنبأ زواج أمجد من رشا، فهل أشرف كاذب أم أن هويدا مجنونة؟!

خبط سامح بيديه على جانبي رأسه وأردف:

- أوشكتُ أن أفقد عقلي في هذه القضية.

ابتسم محمود وردَّ في هدوء:

- لا تنسَ أننا في بداية النفق المظلم، ولكن نجحنا اليوم في أن نُضئ شمعة، وقريبا سنخرج منه بإذن الله.

في تهكم ردَّ:

- أي شمعة تلك التي أشعلناها!

- لقد تحدث الجميع، وأنت بنفسك احترت في أن تُميّز الصادق من الكاذب، وأنا أؤكد لك أن كلهم كاذبون، وتلك هي الشمعة المضاءة التي ستصل بنا للحقيقة.

كان سامح يسمع كثيرًا عن مهارات محمود في البحث الجنائي لكنها كانت القضية الأولى التي يشترك معه فيها، ولعدم فهمه أو اقتناعه بما يقوله، فاكتفى بهز رأسه وقال:

- وما هي خطوتنا التالية يا افندم؟

- رتب موعد مع زوجة القتيل صباح باكر في منزلها.

- تمام يا افندم.

***

(يوم الخميس)

وضعت الخادمة فنجانين من القهوة أمام محمود وسامح، في نفس اللحظة التي دخلت هويدا وبادلتهما التحية وجلست على أحد المقاعد إلى جوار محمود.

بدا عليها الهدوء والثبات بعكس أول لقاء، وضعت ساقًا فوق ساق، أشعلت سيجارة، نفثت دخانها بهدوء، ثم سألت:

- ألم تتوصل للقاتل بعد يا محمود بك؟

وضع محمود فنجان القهوة على طاولة أمامه، واعتدل في جلسته وردَّ:

- القضية ليست سهلة، ولكننا حتمًا سنصل إليه بإذن الله.

وبنبرة متهكمة ردَّت:

- ليست سهلة! هل التوصل للصوص اليوم أصبح أمرًا صعبًا!

تمالك محمود غيظه من أسلوبها، وردَّ بهدوء:

- لم نتأكد بعد من الدافع الحقيقي وراء عملية القتل، بل في الحقيقة أنا أستبعد أن يكون القتل تم بدافع السرقة.

انفعلت وردَّت:

- زوجي لم يكن له أعداء وكان شخصية مرموقة في المجتمع، ويكفيه أنه مات مقتولا، وأنت ترغب لأن تبرر تأخركم في الوصول للجاني بأن تختلق دوافع غير السرقة للتشهير بزوجي.

بنبرة شديدة الحدة ردَّ:

- أنا لا أبرر أي شيء، ولا أسعى لاختلاق دوافع، ولكن هدفي الوصول للجاني الحقيقي، وزوجكِ بنفسه كان يعتبر تجار المخدرات كلهم أعدائه؛ لأنه يعالج المدمنين، فلماذا تقفزين بفكركِ لدوافع تشوه سمعة زوجكِ؟

اهتزَّت السيجارة في يدها، وردَّت بصوت مرتبك:

- أرجو أن تعذرني، فأعصابي لا زالت متوترة، وربما فهمتك خطأ.

وبنبرة متهكمة سألها:

- وما الذي فهمتِه خطأ؟

ازداد ارتباكها وتلعثمت قائلة:

- في الحقيقة ذهني مشوش، ولا يوجد شيء محدد.

أمسكت كوبًا من الماء تشرب منه، فسألها محمود فجأة:

- هل تعرفين السيدة »رشا أحمد عبدالله«؟

انسكب بعض الماء على ملابسها بسبب رعشة أصابت يدها، وعلى الفور أخذ منها محمود كوب الماء، وناولها منديلا؛ لتجفف ملابسها، اعتذرت عما حدث وردَّت:

- أعتقد أني سمعت اسمها من البواب أول أمس ، ثم روت لهما قصة ما حدث لرشا أمام المنزل بدايةً من حالة الإغماء التي أصابتها، ونهايةً بإيداعها أحد المستشفيات الخاصة.

نظر لها محمود بإمعان، وبنبرة حادة سألها:

- ألم تسمعي باسمها من قبل؟

وبثبات ردَّت:

- لا.

سكت قليلًا، أرجع ظهره ليسنده على ظهر المقعد، وضع ساقًا فوق ساق، وتكلم بنبرة هادئة وحاسمة:

- مدام هويدا، أرجو أن تدركي أني أمام جريمة قتل والقاتل مجهول للآن، والجميع عندي مشتبه فيهم حتى أنتِ.

حاولت أن تقاطعه معترضة، لكنه رفع يده مشيرًا لها بالصمت، وواصل بنبرة أكثر حدة وحسم:

- أكرر أنكِ واحدة من المشتبه فيهم، ولا يوجد ما يمنعني أن أستدعيكِ إلى مكتبي لأجري التحقيق هناك، ولكن أشفقت عليكِ لظروفكِ الخاصة الآن، ولكن إن لم تتعاوني معي بالطريقة التي أرغبها، سأضطر للتصرف معكِ بطريقة أخرى من المؤكد أنها لن تُسعدكِ.

تحولت من شخصية متعجرفة إلى شخصية منكسرة في ثوان معدودات بعد كلام محمود، وأطرقت برأسها في الأرض وقالت:

- تحت أمرك.

بنبرة أقل حدة سألها:

- أعود وأسألكِ، هل سمعتِ باسم رشا قبل أول أمس؟

بصوت منكسر ردَّت:

- نعم.

- متى؟

- من ثلاثة أشهر تقريبًا.

- كيف عرفتِها؟

ترددت قليلًا ثم ردَّت:

- أبلغني عنها أشرف السكرتير.

- أرجو أن تحكي لي بالتفصيل؟

أشعلت سيجارة أخرى، وبدأت تحكي:

- المرحوم أمجد أصبح ضعيفًا أمام النساء في الأونة الأخيرة، ولمَّا علمت بهذا الأمر، طلبتُ منه الطلاق، لكنه رفض بشدة؛ لأنه كان يحبني لدرجة العبادة ولا يستطيع أن يعيش بدوني، فأنا كنت له الزوجة والأم، ومع الأيام تعودت على تصرفاته الطائشة، واخترت أن أعيش أحافظ على ابني وبيتي؛ حتى لا يُهدم ما بنيته في سنوات مع أمجد.

خفتُ على أمجد من تورطه في أي علاقة، فطلبت من أشرف أن ينقل لي أخباره، وكنت أدفع له راتبًا شهريًّا، وهو مَن أخبرني عن رشا.

- ماذا كنتِ تفعلين عندما تعلمين أن زوجكِ بدأ في علاقة نسائية؟

- كنت أفتش في تليفونه جيدًا، وابدأ في متابعة تواجده بالعيادة والمستشفى الخاص الذي يعمل به، وكانت الرسائل التي أقرأها تكشف أنها علاقات عابرة سريعة.

- وهل كانت علاقته مع رشا من تلك النوعية العابرة؟

- نعم.

- ما رأيكِ أن أشرف اعترف أنه أبلغكِ أن أمجد كان يخطط للزواج من رشا؟

- بالفعل حدث هذا من شهر، لكن لم أصدّقه لأن الرسائل التي قرأتها كانت لا توحي بذلك، وتصورت أنه فهم خطأ، ولكن الغريب أن يوم الجريمة قرأت رسالة على موبايل زوجي من رشا، توحي بوجود مخطط للزواج بينهما، فواجهته، فإذا به يسخر بشدة من الأمر، ويخبرني أنها مريضة نفسية وتتوهم ذلك.

- وهل صدّقتِه؟

- نعم.

- لماذا لم تشكي أنه يكذب عليكِ؟

ضحكت ضحكة ممزوجة بالحزن وقالت:

- اتصل برقمها أمامي وفتح الميكروفون حتى أسمع المكالمة، وسمعته بنفسي ينصحها بضرورة إيداعها بإحدى المصحات النفسية في هذا التوقيت لأن حالتها تستدعي ذلك، وظلّت تصرخ فيه وتتهمه بأنه لا يريد أن يتزوجها حتى أغلق الخط معها.

بهدوء بالغ سألها محمود:

- هل لديكِ أي دليل على ما تحكيه؟

- لا.

- لو أكدت لكِ أن قتل زوجكِ لم يكن بدافع السرقة، فهل تتهمين أحدًا؟

وبثبات شديد ردَّت:

- لن يخرج قاتل زوجي عن واحدة من اثنتين، إمَّا رشا، أو داليا.

لولا أن محمود وسامح لديهما خبرة كافية في مواجهة المواقف الصعبة، لكانت صرخة مدفونة بداخلهما خرجت وأسمعت العمارة بأكملها، ابتلع محمود ريقه، وشرب بعض الماء وسألها:

- مَن هي داليا؟

- »داليا النشرتي«، كانت مريضة عند أمجد، ونشأت بينهما علاقة، وحملت منه، وأجرت عملية إجهاض، تسببت في استئصال الرَحِم.

وبصوت مذهول سألها:

- ومَن أخبركِ بهذه القصة؟

- أمجد هو مَن أخبرني، فالعلاقة التي كانت تربطني به لا يستطيع أحد أن يتفهمها، أنا كنت بمثابة الأم لأمجد، كان بمجرد أن يرتكب خطأ يهرول لي باكيًا لأخلصه من محنته.

وفي أحد الأيام جاء يحكي لي عن خطيئته مع داليا وأخذ يبكي ويتوسل أن أسامحه، وأساعده للخروج من هذه المصيبة، وأفهمني أنها خططت لذلك من أجل أن تتزوجه طمعًا في أمواله، فعلمتُ أنها حملت منه وهي لا تزال على ذمة طليقها، فجعلته يهددها بإثبات ذلك ويعرضها لقضية زنا، فخافت وأجهضت نفسها.

- وهل انقطعت علاقتها به بعد ذلك؟

- اتصلت به مرة واحدة من خمسة أشهر تقريبًا وهددته أنها ستنتقم منه يومًا ما.

سكت محمود لحظات وسألها:

- لكن لماذا لم يخبركِ أشرف بقصة داليا مبكرًا؟

- أنا استخدمت أشرف لمراقبة أمجد فقط بعد قصة داليا، لأني خفت أن تتكرر هذه الحوادث معه.

وبنبرة تحمل استغرابًا شديدًا سألها:

- هل من المعقول أن تسامح زوجة زوجها على كل هذه التصرفات، بل وتستمر في دعمه؟

وبهدوء استفزَّ محمود:

- كما قلت لك علاقتي بزوجي كانت لا يُصدّقها عقل.

هزَّ رأسه وهمهم في سرّه قائلًا:

- كل ما أراه في هذه القضية... «أمور لا يُصدّقها عقل».

***

غادر محمود منزل هويدا وكان في حالة من الشرود لم يفهمها سامح وظلَّ طوال الطريق لا ينطق بحرف، أنزل سامح عند مقر عمله، وانطلق بسيارته حتى أنه لم يلتفت ليردَّ على تحية سامح.

سار على غير هدى حتى وجد نفسه أمام أحد الكازينوهات المطلة على النيل، جلس على طاولة في ركن بعيد ملاصقة للنيل، طلب فنجانا من القهوة، أرجع رأسه إلى الخلف وظلَّ يستمتع بمنظر السماء الصافية والشمس تتوسطها وترسل أشعة دافئة في هذا اليوم من أيام فصل الربيع، ملأ رئتيه بالهواء النقي، ثم أخرج من جيب بذلته مفكرته ودوَّن فيها:

حلم المهندس عادل...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

علاقة هويدا بزوجها أمجد...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

رشا تخطط لابتزاز طليقها كما ادّعى، علما بأنه دعَّم حكايته بمحاضر شرطة وشيك بنكي ولم يكن ليكذب في أمر كذلك، ثم تأتي هويدا وتؤكد أنها مجنونة وتتوهم الزواج من أمجد...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

أشرف السكرتير، مدمن سابق، يتعرض لمحنة مادية، يقبل بعدها أن يعمل جاسوسا لزوجة أمجد مقابل راتب شهري بدعوى أنه يحافظ على بيت أمجد من الانهيار...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

احتفاظ أمجد بمسدس في درج مكتبه يدل على أنه يخشى شيئًا ما، ثم يستقبل مريضة جديدة لا يعرفها وهو وحيد في العيادة ويترك أشرف الباب مفتوحًا لها دون أن يتخذ أمجد أي إجراءات تأمينية...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

حسام طليق رشا ذو شخصية انفعالية وحادة، يستسلم لامرأة نصبت عليه وأوهمته بالحب ويكتفي بأنه فقط لا يرغب في ذكر سيرتها...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

هاني يصف داليا بالملاك البريء في فترة زواجه منها، بينما تعترف هي أنها ندمت أشد الندم بعد زواجها منه وأنه يمتلئ بعُقد النقص...(أمرٌ لا يُصدّقه عقل).

ترك محمود قلمه، وسرح بعينيه في النيل، ثم هزَّ رأسه وهمهم في سرّه:

«لو تحقق ما أخشاه، ستكون بالفعل جريمة لا يُصدّقها عقل».

***

اقتربت الساعة من السادسة وكان محمود يجلس في مكتبه يتصفح أوراق القضية ويشاهد تسجيل الكاميرات مرة أخرى، منتظرًا وصول سامح، بعد أن اتصل به أثناء جلوسه في الكازينو وطلب منه احضار داليا للتحقيق معها، وبالفعل عند السادسة تمامًا دخل سامح برفقة داليا، فاستقبلها محمود بوجه جامد، وما أن جلست حتى بادرها قائلًا:

- عندما قابلتكِ أمس كان هدفي أن تساعديني في الوصول للقاتل، أمّا اليوم فأنتِ هنا لأنكِ متهمة بقتل الدكتور أمجد.

صرخت داليا وقالت:

- ماذا تقول، كيف تتهمني بذلك؟!

وبلهجة حاسمة ردَّ:

- أنا لا أتهمكِ، زوجة القتيل هي مَن تتهمكِ، وأنتِ هنا

للتحقيق معكِ فيما جاء في أقوالها، وأنصحكِ بالهدوء لأن انفعالكِ لن يُغيّر من الأمر شيئًا.

وبنفس الانفعال ردّت:

- أرفض هذا الاتهام جملةً وتفصيلًا، وأطلب الاتصال بالمحامي الخاص بي لحضور أي تحقيق معي.

اعتدل محمود في جلسته، وانحنى بنصفه العلوي للأمام وفرد ساعديه على مكتبه وقال:

- انصتي لي جيدًا يا مدام داليا، أنا لا أُصدّق أنكِ قتلتِ أمجد، وأرغب في عقد اتفاق معكِ.

وبنبرة حادة سألته:

- أي اتفاق؟

- سأدير معكِ الآن حوارًا ليس بتحقيق رسمي يحتاج لمحامي، ويمكنكِ اعتباره دردشة بين أصدقاء، وفي اللحظة التي أراني فيها مضطرًا لفتح تحقيق رسمي معكِ سأجعلكِ تستدعين محاميكِ على الفور، فهل تقبلين بهذا الاتفاق؟

هدأ انفعالها قليلًا وأشعلت سيجارة وقالت:

- أوافق، ولكن هل من الممكن أن يؤخذ ضدي فيما بعد أي كلام سأقوله الآن؟

- على الإطلاق، فيمكنكِ أن تقولي كلامًا عكس ما ستقوليه معي الآن في أي تحقيق رسمي، كل ما أطلبه منكِ الصراحة المطلقة؛ حتى أصل للجاني سريعًا وننتهي من هذه القضية.

- أعدك أني سأصارحك بكل ما أعرفه.

طلب محمود عصيرًا من الليمون لها وبدأ أسئلته قائلًا:

- أريد أن تحكي لي حكايتكِ كاملة مع القتيل منذ أن عرفتِه.

تنهدت قليلًا وقالت:

- بعد أن اتهمتني هويدا بقتل أمجد لم يعُد الآن فائدة من إخفاء أي شيء، وسأحكي لك بالتفصيل.

«بدأت أعصابي تنهار بعد زواجي بشهر واحد، وبسبب محاولاتي المستمرة لإخفاء تعاستي عن أهلي وأصدقائي بسبب فشلي في اختيار الزوج المناسب، زاد توتري النفسي وذهبتُ لأمجد وأنا في حالة سيئة، وبعد أول شهر من العلاج تحسنت حالتي بصورة ملحوظة، وبدأتُ أشعر أني أستعيد قوتي وأعود لما كنت عليه قبل الزواج.

في نفس الوقت بدأت أشعر بارتياح كبير لأمجد، كان يحاوطني بكلام غزل رقيق ولكنك لا تستطيع أن تتهمه

بالتجاوز، وقبل نهاية الشهر الأول للعلاج لاحظتُ أنه جعل زياراتي بصورة شبه يومية بعد أن كانت أسبوعية.

في كل مرة كانت جرعة الغزل تزداد، وبدأتُ أتعلّق به بشدة، وبالفعل لاحظ طليقي، وحدث بيننا شجار داخل عيادة أمجد (الذي حكيت لك عنه)، وانتهزتُ تلك الفرصة للانفصال عنه.

تركتُ منزل الزوجية وأقمت في شقة مفروشة لمدة شهرين قبل أن أحصل على طلاقي، توطدت علاقتي بأمجد خلال هذه الفترة، وبدأ يتردد عليَّ في سكني الجديد، وبدأنا نخطط للارتباط بمجرد أن أنتهي من الطلاق وشهور العِدّة.

أحببته بجنون، ولم أشعر يوما بفارق السن بيني وبينه، وبدأ يتعامل معي في كل أحاديثه على أني زوجته، مما أزال كل الحواجز بيننا ووقعت معه في الخطيئة.

لم أشعر وقتها أني ارتكبت خطأ، فقد كنت أتعامل معه على أنه زوجي والمسألة مسألة وقت لا أكثر، وفجأة اكتشفت أني حامل، فَرِحتُ كما لم أعرف الفرحة من قبل، وطرت لأزفّ الخبر له.

لكن كانت صدمتي لا توصف عندما قابلني بانفعال وأصرَّ أن أتخلص من الجنين، بل والأدهى من ذلك أنه هددني إن

احتفظت به، فسيخبر زوجي، ومن الممكن أن يرفع عليَّ قضية زنا، فالحمل وقع وأنا لا زلت على ذمته.

دارت الدنيا بي، وللحق لم أهتم بتهديد أو بفضائح تنتظرني، ولكن كانت صدمتي الكبرى في أمجد، أو بمعنى أدق في الرجل الذي تصورت أني لم ولن أحب سواه.

ذهبتُ على الفور لأتخلص من الجنين لأني أصبحت لا أرغب في شيء يُذكّرني بهذا الشخص، وبالفعل تمَّت عملية الإجهاض ولكن حدثت مضاعفات أدَّت إلى استئصال الرَحِم وحرماني من الأمومة للأبد.

خرجتُ من المستشفى ولم يكن بداخلي شيء إلّا رغبة الانتقام من أمجد، ذهبتُ لطليقي هاني وأخبرته عما حدث لي ولكن أفهمته أن الجنين كان ابنه، وأن مَن تسبب في كل الكوارث التي حدثت لنا هو أمجد.

أكّدتُ له أني كنت مخدوعة، بل وتأكدت من كلامه أن أمجد رجل قذر، ورجوته أن ينتقم لنا منه بأي شكل، ووعدته بالعودة له، لكنه بكل برود طلب مني أن أنسى ما حدث ونعود لحياتنا الزوجية وأنه لا يُعنيه وجود أبناء، انفعلت عليه بشكل حاد ووبخته وعنّفته، وانصرفت.

كل ما استطعت فعله بعد ذلك أني اتصلت بأمجد وهدّدته

أني سأنتقم منه يوما ما، وواسيت نفسي أنه سيعيش في رعب بسبب مكالمتي، وهذه كل حكايتي معه».

انتظر محمود قليلًا ليعطيها فرصة تلتقط أنفاسها اللاهثة وسألها:

- وماذا كان شعوركِ عندما علمتِ بقتله؟

- في الحقيقة غضبت بشدة، لأني كنت أتمنى أن أقتله بيدي.

سرح محمود قليلًا ثم قال:

- مدام داليا، لديكِ دافع قوي لقتل أمجد، ولدينا اتهام مباشر من زوجته لكِ بقتله، ودليل براءتكِ فقط هو روايتكِ التي تنكرين فيها قتله، فهل لديكِ دليل أخر على براءتكِ؟

وبهدوء شديد ردّت:

- ليس لدي أي دليل، وصدّقني سأعتبره شرف لي أن أُتهم في قتل هذا الكلب.

نظر لها محمود بتمعن، ثم سمح لها بالانصراف.

***

اندفع سامح واقفًا أمام مكتب محمود، وباندهاش بالغ

سأله:

- هل صدّقتها يا افندم فتركتها تغادر؟!

وبهدوء ردَّ:

- وحتى لو لم أصدّقها، فما هو دليلك ضدها؟

- الإجهاض واستئصال الرحم والرغبة في الانتقام، أليست كلها أدلة كافية؟!

- وكيف ستثبت كل ما ذكرته، لا تنسى أن الإجهاض مُجرَّم في بلدنا، ومن المؤكد أن الطبيب الذي أجرى لها الإجهاض واستئصال الرحم، سيضع تشخيصًا آخر لأسباب استئصال الرحم ولن يذكر عن الإجهاض شيئًا، وستجد نفسك لا تمتلك إلّا شهادة هويدا، وكلامها مُرسَل يفتقد الدليل، بل وأؤكد لك أنها من المستحيل أن تضعه في محضر رسمي خوفًا من الفضائح.

جلس سامح على الكرسي مرة أخرى، وتكلم بصوت يائس:

- لم أعُد أفهم شيئا يا افندم، بل أشك أنه سيأتي يوم ونقبض فيه على الجاني ومعنا الدليل الدامغ.

- لا تتعجل يا سامح، نحن نقترب ولكن ببطء؛ لأننا نواجه قاتل عبقري، وقتيل يتمنى قتله كثيرون.

قبل أن يتركه سامح طلب منه محمود أن يحضر رشا لمكتبه صباح الغد في التاسعة.

***

(يوم الجمعة)

فرغت رشا من شرب فنجان قهوة كان بيدها، وضعته على طاولة أمامها، أطفأت سيجارتها، وبنبرة عصبية سألت سامح:

- هل سيتأخر العميد محمود، الساعة أصبحت التاسعة والنصف ولم يحضر بعد؟

ابتسم سامح وردَّ:

- لابد أنه على وشك الوصول.

لم يتم عبارته حتى فُتِحَ باب المكتب ودخل منه محمود، ألقى التحية على رشا ببرود، جلس على مكتبه يُعدّل من وضع ما عليه من أوراق، استدعى جنديا وطلب منه فنجانا من القهوة، تعمَّد استهلاك المزيد من الوقت ليزيد من توتر رشا التي لم تحتمل وبادرت بسؤاله:

- هل يمكنك أن تخبرني لما استدعيتني بهذه الطريقة؟

وببرود ردَّ:

- أي طريقة؟

وبنبرة منفعلة ردَّت:

- فوجئت بالرائد سامح أمام شقتي في السابعة صباحا

يطلب مني الحضور معه إلى هنا لمقابلتك، ورفض أن يُطلعني على أي شيء، وأعتقد أن هذه الطريقة في الاستدعاء لم يكن يصح أن تتبعوها معي؛ لأنها لا تتم إلّا مع المتهمين.

وبهدوء شديد ردَّ:

- وأنتِ بالفعل متهمة.

لمعت عيناها، وبانفعال ردَّت:

- متهمة! أي تهمة تلك التي تتحدث عنها؟!

- متهمة بقتل الدكتور أمجد.

صرخت قائلة:

- ماذا تقول! أنا أقتل أمجد! ما هذا الهراء؟!

وبنفس النبرة الهادئة ردَّ:

- لا داعي لانفعالكِ، لابد أن تُفرّقي بين الاتهام والإدانة، فالاتهام من الممكن توجيهه لأفراد كثيرة وهم أبرياء.

وبنفس الانفعال ردَّت:

- أنا أرفض حتى أن تتهمني بهذه التهمة البشعة.

- أنا لم أتهمكِ، زوجة القتيل هي مَن اتهمتكِ.

- مَن؟! هويدا هي مَن اتهمتني!

خرجت منها ضحكة ساخرة وأردفت:

- هذه المرأة أشد فتكًا من ثعبان الكوبرا، تريد أن تنتقم مني لأن أمجد فضّلني عنها.

أشعلت سيجارة وواصلت:

- وأنا أيضًا اتهمتها من قبل بقتل أمجد، فلماذا صدّقتوها ولم تصدّقوني؟

- ببساطة لأن لديها صفة أنها زوجته، أمَّا أنتِ فغير ذي صفة.

- كنت حبيبته، وكان بيني وبين الزواج منه يوم واحد، فكيف أكون غير ذي صفة؟

- هي أنكرت قصة ارتباطه بكِ، بل وأضافت أنكِ تتوهمين وتختلقين هذا الأمر.

وبسخرية وتهكم ردَّت:

- وماذا تنتظر منها أن تقول؟! هل تريد أن تخبرك أن زوجها كان لا يطيقها وسيتزوج من أخرى؟! هل تريد أن تخبرك أنها قتلته طمعًا في أن ترثه؟!

- هل لديكِ أي دليل على أن أمجد كان يخطط للزواج منكِ وخاصةً أنكِ أبلغتيني أن زواجكما كان سيتم في السرّ؟

فكّرت لحظات، ثم التقطت شنطتها وفتشت فيها بعصبية، حتى أخرجت منها كارتًا شخصيًا، ناولته لمحمود وقالت:

- هذا كارت المأذون الذي كان سيعقد قراننا، يمكنك أن تتصل به وتتأكد.

تفحّص محمود الكارت، وسرح قليلا ثم سألها:

- هل حصلتِ على مليون جنيه من طليقكِ عند انفصالكِ عنه؟

بدا عليها الارتباك ثم ردّت:

- نعم، فهو لم يكتب لي مؤخر صداق أو قائمة منقولات عند زواجنا، وطلبت منه أن يعوضني فوافق.

حدّق في عينيها وقال:

- لو لم يدفع لكِ هذا المبلغ، ماذا كنتِ ستفعلين معه؟

- لا أعرف، فلم أخطط وقتها أي شيء.

- هل تم إيداعكِ في مصحة نفسية من قبل؟

- نعم، أثناء زواجي من حسام، فقد عانيت من انهيار عصبي

بسبب سوء حياتي معه.

وبطريقة مفاجئة سألها:

- أخبرتِني من قبل أنكِ بحثتِ عن أمجد عندما لم يردّ على اتصالاتكِ قبل عقد قرانكما بساعات قليلة، فما الذي دفعكِ لهذا؟ علمًا بأنه من المفترض أن تكوني منشغلة في إعداد نفسكِ كأي عروسة.

بصوت مرتجف ردَّت:

- صدّقني لا أعرف، شيء ما جعل القلق يتملّك مني عندما كررت الاتصال به مرات عديدة ووجدت تليفونيه مغلقين.

- هل كنتِ خائفة عليه؟ أم خائفة ألّا يحضر في موعد عقد القران؟

على الفور ردَّت:

- بالطبع كنت خائفة عليه.

- هل كان هناك سبب لكل هذا القلق؟

- لا، كلها هواجس داخلية لا يوجد لها سبب ظاهر.

- متى كان أخر اتصال بكِ مع أمجد؟

- يوم وفاته صباحًا، أبلغني أنه أتم كل الترتيبات اللازمة

للزواج، وأنه أخبر زوجته أنه سيسافر يوم زواجنا لمؤتمر خارج البلاد لمدة أسبوع.

- هل خططتما للسفر لمكان ما؟

- كنا سنمضي اليوم الأول بأحد فنادق القاهرة ثم نسافر في اليوم التالي للغردقة.

- هل تم الحجز في أي فندق؟

- أخبرني أمجد أن الإقامة في فنادق القاهرة لا تحتاج حجز مُسبق، أمّا بخصوص الغردقة، فكان له صديق يعمل مديرًا لأحد الفنادق هناك وسيرتب لنا الإقامة بمجرد وصولنا.

دوَّن محمود بعض الملاحظات في مفكرته، بعدها رفع رأسه وحدَّق في رشا، وقال:

- يمكنكِ الانصراف الآن.

***

ما أن خرجت رشا، حتى بادره سامح قائلًا:

- الآن نستطيع القول بأن أول المشتبه فيهم خرج من دائرة الاشتباه.

- انتظر حتى نتأكد، ثم أمسك بتليفونه واتصل بالمأذون،

وبعد أن عرَّفه بنفسه دار بينهما الحوار التالي:

- هل اتصل بك شخص يُدعى أمجد الرفاعي وحدد موعدًا لعقد قرانه.

- بالفعل وحدد يوم الثلاثاء الماضي في الرابعة عصرًا، وذهبت في الموعد المحدد ولم أجد أحدًا.

- وأين كان مكان عقد القران؟

- في منزل الزوجة (أملى عليه عنوان رشا بالتفصيل).

- ألم تفكّر أن يكون الاتصال تصرف سخيف من أحدهم خاصة بعد أن ذهبت ولم تجد أحدًا؟

- في الحقيقة أنا لم أخذ الأمر على محمل الجدّ من اتصال تليفوني فقط، ولكن طلبتُ منه أن يمرَّ على مكتبي لدفع عربون وأعطاني موعدًا، لم يحضر هو ولكن العروسة رشا حضرت ودفعت لي ألف جنيه عربون.

شكره محمود وأغلق الخط، فاندفع سامح قائلًا:

- إذن رشا صادقة.

فنظر إليه محمود مليًّا وقال:

- ومَن أدراك أن أمجد هو مَن اتصل بالمأذون؟

فاتسعت عينا سامح، وأردف محمود:

- لابد أن تضع أمامك كل الاحتمالات حتى لا تقع في الخطأ، ولا تنسَ أننا نواجه قاتل عبقري.

***

بعد أن انتهى محمود وسامح من أداء صلاة الجمعة، تركه محمود بدعوى أن وراءه موعدًا هامًا، اتصل في الطريق بالمهندس خالد الكومي صاحب شركة الكومي للمقاولات وأخبره أنه في الطريق إليه.

داخل ڤيلا مكونة من طابقين بمنطقة الشيخ زايد هي المبنى الإداري لشركة الكومي للمقاولات، استقبل المهندس خالد العميد محمود بابتسامة لا تخلو من استغراب شديد من هذه المقابلة، فقد اتصل به محمود في الصباح الباكر وطلب لقاء سريًا معه، ومنذ تلك اللحظة وهو في حيرة بالغة.

بادره محمود قائلًا:

- أعتذر عن هذا الموعد المفاجئ، ولكن هو أمر هام، وأرجو أن يكون غاية في السرّية ولا يعلم به مخلوق.

وبحسم وحزم ردَّ:

- بالتأكيد.

- حضرتُ لأسألك عن المهندس عادل الفيومي.

- بخصوص أي شيء؟

- أريد أن أعرف عنه كل شيء.

باستغراب شديد ردَّ:

- عادل يعمل معي منذ ما يزيد عن عشرين عام، طوال هذه الفترة كان مثالًا يُحتذى به في الجدّ والكفاءة والأخلاق.

سرح محمود قليلًا وقال:

- علمتُ أن له ابنا وحيدا مات في حادث منذ نحو تسعة أشهر، فهل كان لهذا الحادث تأثير على حالته النفسية؟

- بالتأكيد، وبالرغم من ذلك فلم يؤثر قط على كفاءته في العمل، وللعلم كل مَن في الشركة حزن لموت ابنه.

- أي شكل من التأثير النفسي أصابه؟

- أصبح أقل اختلاطًا بزملائه، وأقل حديثا بشكل ملحوظ، ولكن الجميع كان يلتمس له العذر.

- متى رأيته آخر مرة؟

- يوم الإثنين الماضي، كان هناك اجتماع هام امتد بنا حتى الثانية عشرة ليلًا.

وباهتمام بالغ سأله:

- ومتى بدأ؟

- تقريبًا في العاشرة.

- أرجو أن تتذكّر جيدًا موعد بدء الاجتماع، ومتى حضر عادل؟

فكَّر قليلًا وقال:

- تذكّرت، كان من المقرر عقد الاجتماع في العاشرة ولكن عادل حضر متأخرًا خمس دقائق وعلّقت عليه ضاحكا أننا سنؤخر الاجتماع بسببه خمس دقائق.

وقف محمود ومدَّ يده مصافحًا خالد وشكره على تعاونه، وقبل أن ينصرف سأله خالد:

- أرجو أن تعذرني ولكن أريد أن أعرف ماذا فعل عادل؟

ابتسم وردَّ بتهكم:

- لم يفعل شيئا، فقط جاء وروى لي حلمًا، هل تصدّق هذا؟!

فتح فمه واتسعت عيناه وردَّ:

- حلم!

***

أخبرت الخادمة هويدا بأن أشرف السكرتير ينتظرها في غرفة الصالون، فذهبت إليه وعلى وجهها أمارات الغضب، اصطحبته إلى غرفة المكتب وأغلقت الباب، ودار بينهما الحوار التالي:

- لماذا جئت الآن يا أشرف، ألم أحذرك أن نلتقي في هذه الفترة؟

ابتسم وردّ ببرود:

- جئت أقدّم واجب العزاء.

وبعصبية شديدة ردّت:

- اذهب ولا أريد أن أرى وجهك قبل أن أتصل بك.

- ولكن أريد نقود الآن، ولا أستطيع الانتظار.

فتحت أحد أدراج المكتب أمامها وأخرجت مبلغ 500 جنيه وأعطتهم له، قلَّب النقود بين يديه في استخفاف وقال:

- ما هذا؟ أنا أريد الآن عشرين ألف جنيه.

انفعلت وقالت:

- كم؟! هل جُننت؟!

فابتسم وردَّ:

- حتى الآن لم أُجن، ولكن لو لم تعطيني ما أريد، فلا أعلم كيف سيكون حالي.

- من أين أحضر لك هذا المبلغ؟!

ثم فتحت الدرج مرة أخرى وأخرجت منه مبلغ من المال، قذفته له وصرخت:

- هذا كل ما أملك الآن، قرابة الألفين جنيه، سأعطيك ما تريد بمجرد الانتهاء من إجراءات التركة.

أخذ أشرف النقود، ونظر لها والشرر يتطاير من عينيه، وقف وقال:

- لن أنتظر الانتهاء من التركة فهذا ليس شأني، ولكن سأمهلكِ أسبوعًا واحدًا لتُجهّزي فيه عشرين ألف جنيه، وبعد التركة ستكون لنا جلسة أخرى نتفق فيها على ما أستحقه.

انصرف دون انتظار رد منها، فتبعته بعينين تمتلأن بالغل والكراهية وهمهمت في سرِّها:

«صدقت، لابد أن تنال ما تستحقه».

***

بمجرد أن غادر محمود مكتب المهندس خالد اتصل بسامح وسأله عن أخر الأخبار في القضية، فعرف منه أن أشرف السكرتير زار هويدا في الصباح، فطلب منه إحضار هويدا في مكتبه في السادسة مساء.

في تمام السادسة كانت هويدا تجلس أمام محمود في مكتبه رابطة الجأش، تضع ساقا فوق ساق، وتدخن سيجارة في هدوء، نظرت لمحمود وقالت:

- هل من جديد استدعيتني لتخبرني به؟

بهدوء ردَّ:

- نعم، بالأمس اتهمتِ داليا ورشا، وبعد التحقيق معهما تَبيَّن براءتهما.

وبتهكم ردَّت:

- بهذه السرعة تمت تبرئتهما!

فاجأها محمود بسؤالها:

- ماذا كان يفعل أشرف في منزلكِ صباح اليوم؟

بصوت مرتبك قليلًا ردَّت:

- جاء يُقدّم لي واجب العزاء.

ومرة أخرى فاجأها محمود بسؤالها:

- تأكدنا بما لا يقطع مجالًا للشك أن زوجكِ كان بصدد الزواج من رشا، فما هي أقوالكِ؟

بانفعال ردَّت:

- سبق ونفيتُ لك هذا الهُراء.

وبنبرة متهكمة أردفت:

- ثم مِمَن تأكدت، من رشا أم من زوجي؟!

تجاوز محمود عن تهكمها وبهدوء شديد ردَّ:

- تأكدتُ من المأذون الذي كان سيعقد قرانهما.

اصفرَّ لونها وردَّت بتلعثم:

- لقد أكد لي زوجي ما قلته لك من قبل، وهذا كل ما أعرفه.

واصل محمود أسئلته المفاجئة متنقلًا من موضوع لآخر؛ حتى يزيد من الارتباك الذي سيطر عليها، فسألها:

- كم تبلغ ثروة زوجكِ؟

وبنبرة منفعلة ردَّت:

- لا أعرف ولا يهمني أن أعرف، كل ما يهمني الآن الوصول

لقاتل زوجي.

وببرود شديد ردَّ:

- اهدئي يا مدام، فكل أسئلتي وكل أجوبتكِ تساعدني في الوصول للقاتل.

ردَّت بتهكم:

- وهل معرفتك بقيمة ثروة زوجي سيساعدك في الوصول للقاتل؟!

نظر لها مليًّا وردَّ:

- معرفتي بقيمتها، تُعرّفني قيمة المستفيد منها.

ارتعشت السيجارة في يدها وردَّت:

- أمجد لم يكن يخبرني عن أموره المادية شيئًا، وعلى العموم المحامي يتولى الآن هذه الأمور وسأعرف قريبًا حصرًا شاملًا بالتركة.

وبنبرة ساخرة ردَّ:

- ألم تكوني أمًّا له! هل من الطبيعي أن يُخفي ابن عن أمه أموره المالية؟!

بعصبية واضحة ردَّت:

- نعم كنت أمه، لكنه كان يخفي أموره المالية عني.

تَفحَّصها محمود طويلا ثم سمح لها بالانصراف.

***

اندفع سامح بعد خروج هويدا يسأل محمود:

- هل تأكدت بالفعل يا افندم من أن القتيل كان ينوي الزواج برشا؟

- بالطبع لا، أخبرتها بهذا لأتبين ردَّ فعلها.

- لماذا؟

- لأنها كذبت علينا في الكثير مما حكيته، وعلى سبيل المثال، هل تصدّق أن زوجها ذهب يبكي ويحكي لها عن مشكلته مع داليا، فتخطط له وتخلّصه من ورطته، ثم تبرّر ذلك بأنه كان يعتبرها أمه!

- في الحقيقة هو أمر لا يُصدّقه عقل، ولكن لا تنسَ يا افندم أن داليا اعترفت بهذه القصة، فكيف عرفتها هويدا؟

على الفور أجاب:

- مِن داليا نفسها.

اتسعت عينا سامح وباندهاش شديد ردَّ:

- داليا!

- نعم، هي مَن أخبرت هويدا، فقد كانت تريد أن تنتقم من أمجد بأي شكل، وأول ما فكرت فيه أن تدمر منزله وحياته كما فعل معها، فذهبت لزوجته وأخبرتها.

- ولكن لماذا أخفت داليا عنّا هذه القصة؟

- أظن أنها أرادت ألّا نراها بهذه القوة، فلا تنسَ أن ذهابها واعترافها لهويدا يتطلب شخصية ذات مواصفات خاصة، واكتفت بأن تخبرنا أن كل ما استطاعت فعله هو اتصالها تليفونيا بأمجد وتهديدها له.

- ولماذا تخبرنا هويدا أن أمجد هو مَن أخبرها؟

- لتثبت لنا مدى ارتباط أمجد بها، وأن أي علاقات نسائية له مهما بلغت درجتها لا تؤثر في علاقتهما، وبهذا الشكل تُستبعد تمامًا من دائرة الاتهام.

- وفي تصورك يا افندم ماذا فعلت هويدا مع داليا عندما أخبرتها؟

- من معرفتي الآن بشخصية هويدا، فأنا على يقين أن أول شيء فعلته أن اتهمتها بالكذب على زوجها، ثم أسمعتها أقذع الألفاظ، وبعد ذلك طردتها.

- وهل صدّقت هويدا حكاية داليا؟

- بالطبع، فهي تعلم دناءة زوجها جيدًا.

انبهر سامح بتحليل محمود، وعاد يسأله:

- وهل كان أشرف فعلًا يقدّم لها العزاء اليوم؟

- بالطبع لا.

- وكيف عرفت يا افندم؟

- أنا على يقين أنك لو راجعت تقرير المراقبة الخاص بأشرف، ستعرف أنه ذهب إلى سرادق العزاء الذي أقيم منذ يومين، ولكنه ذهب اليوم لسبب أخر وسأعرفه قريبًا.

- أرى أن هويدا هي الأقرب لأن تكون الفاعلة، فهي الوحيدة التي ستستفيد من موت أمجد.

- الأدق أن تقول أنها الوحيدة التي لديها دافعين للقتل «دافع الانتقام من زوج لم يهتم يومًا بمشاعر زوجته، ودافع الاستفادة من تركته».

ابتسم سامح وسأله:

- بمناسبة أشرف يا افندم، في أحد التحقيقات معه أخرجت له صورة أحد الأشخاص ولم يتعرف عليه، فمَن هذا

الرجل؟

ضحك بصوتٍ عالٍ وقال:

- قلتَ لي من قبل أن عقلك على وشك أن يذهب بسبب هذه القضية، وصدّقني لو أخبرتك بقصة هذا الرجل سيذهب عقلك بالفعل، وحرصًا مني عليك فلن أخبرك الآن، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي أخبرك فيه قريبًا.

سكت برهة ثم أردف:

- أريد استعجال تقرير المعمل الجنائي وتقرير شركة الاتصالات الخاص بتليفوني القتيل في أخر ثلاثة أيام في حياته، كما أريد حسام في الحادية عشرة صباح باكر، وأيضًا أشرف في الواحدة ظهرًا.

- تمام يا افندم.

***

(يوم السبت)

استيقظ محمود في السابعة صباحًا وكان أول ما فعله أن اتصل بالمهندس عادل وطلب منه الحضور لمكتبه في التاسعة، تناول افطاره على عجل مع زوجته التي فشلت في الحصول منه على أي معلومات بخصوص القضية الجديدة، وكانت تشعر بغضب لأنها داومت على مساعدته في كل قضاياه.

في التاسعة، دخل عادل مكتب محمود وهو أكثر ثباتًا من المرة السابقة، استقبله محمود بابتسامة وبعد أن طلب له فنجانًا من القهوة، بدأ معه الحديث قائلًا:

- بدايةً أعتذر عن ذهابي منزلك دون موعد مُسبق، ولكني شرفت بمقابلة السيدة زوجتك.

- مرحبًا بك يا افندم في أي وقت.

ترك محمود مقعده، وجلس على مقعد أمام عادل وقال:

- الحقيقة يا باشمهندس منذ مجيئك وحكايتك لي عن أحلامك، وأنا أعيش حيرة لم أعشها طوال عملي بالبحث الجنائي والتي تزيد عن ثلاثين عام، فبالرغم أن عقلي غير قادر على تصديق حلمك، فكل الشواهد تؤكد أنك صادق، وأنك فوق مستوى الشبهات سواء من الناحية السلوكية أو

العقلية.

بنبرة تُغلّفها الحيرة ردَّ:

- صدّقني يا افندم أنا أيضا أعاني نفس حيرتك، فحتى الآن أنا لا أصدق ما يحدث لي، حتى زوجتي بعدما تحدثت أنت معها، أصبحت هي الأخرى في حيرة شديدة.

نظر محمود له بتمعن وسأله:

- لكن لماذا اخترتني لتخبرني عن حلمك وهناك العديد من كبار ضباط المباحث؟

- كما ذكرت لك من قبل أنا متابع جيد لأخبار الحوادث في الجرائد، وأعرف سيادتك جيدًا، بالإضافة أن لي قريب ضابط شرطة عمل فترة في البحث الجنائي، وكان دائم الحكي عن مهاراتك الفائقة وأنك لم تفشل يومًا في حل أي جريمة، مما جعل الوزارة تُكلّفك بالقضايا الصعبة أو القضايا التي تكون محل اهتمام الإعلام والرأي العام، إلى جانب حديثه عن أخلاقك الرفيعة التي يشهد بها الجميع.

شكره محمود على مديحه، ثم سرح قليلًا وسأله:

- هل أنت مهتم بعلم النفس؟

- في الواقع كان اهتمامي به محدودًا، ولكن بعد ما حدث

معي مؤخرًا أصبحت مهتمًا جدًا بل وقرأت كثيرًا، وخاصة في الظواهر النفسية النادرة.

- وما الذي خرجت به بعد قراءاتك؟

- تأكدتُ أن هناك أشخاص قليلين جدا يمتلكون ظواهر غريبة، يصعب على جموع البشر تصديقها.

- وهل تعتبر نفسك واحدًا منهم؟

وبدون تردد ردَّ:

- نعم.

***

في الحادية عشرة وصل سامح برفقة حسام والذي بدا عليه الغضب، بسبب الطريقة التي حضر بها إلى مديرية الأمن، وبمجرد أن رأى محمود اندفع نحو مكتبه، وبانفعال قال:

- لماذا هذه الطريقة في استدعائي يا محمود بك؟ لقد تعاونت معك على أكمل وجه.

نظر له محمود بغضب، وبنبرة حادة ردَّ:

- لم تتعاون معنا على أكمل وجه بل كذبت علينا، وهذا

أغضبني كثيرًا.

وبصوت خائف ردَّ:

- لم أكذب في شيء.

أخرج محمود ورقة من درج مكتبه، ولوَّح بها في وجهه وهو يقول:

- أخبرتني أنك لم تتصل برشا منذ طلّقتها، وهذه الورقة من شركة الاتصالات تُثبت كذبك.

انهار حسام على كرسي بجواره، وبصوت مرتعد قال:

- اعذرني يا افندم، الخوف هو السبب.

- يجب أن تتأكد أنك لن تستطيع أن تُخفي عني شيئًا، فعليك أن تقول الحقيقة كاملة.

التقط أنفاسه وقال:

- أعدك أن أقول الحقيقة كاملة، شرب بعض الماء وبدأ يحكي:

بعد ابتزاز رشا الحقير لي، شعرتُ بغضب تجاهها لا يتصوره مخلوق، ولم يكن هذا بسبب النقود التي دفعتها لها، ولكن بسبب تمثيلها الحب وادعائها أنها لم تحب سواي، قررت

أن أنتقم منها ولم أكن أعرف كيف، فكلّفت أحد الأشخاص بمراقبتها كظِلِّها.

وفي يوم من الأيام أبلغني هذا الشخص بأنها تتردد على عيادة الدكتور أمجد وبعد ذلك شاهدها برفقته خارج العيادة، تكرر خروجها معه، وأظهرت الصور التي كان يلتقطها لها أن العلاقة بينهما تطورت بشكل سريع، فاستنتجت أنه ضحيتها الجديدة.

تأكدت أن الفرصة سنحت لي للانتقام منها، فاتصلت بها وهددتها بفضحها عنده بما فعلته معي، ولم أكتفِ بذلك بل اتّصلت أيضًا بالدكتور أمجد وحذرته منها.

- متى اتّصلت بأمجد؟

- في نفس اليوم الذي اتّصلت فيه برشا، وكان قبل مقتله بأسبوع.

- وما هو ردّ فعل رشا عندما هددتها؟

- استهزأت بمكالمتي وأغلقت الخط.

- وما هو ردّ فعل أمجد عندما حذرته؟

- أنصت جيدًا لكلامي ثم شكرني على النصيحة وأغلق الخط.

- هل كانت لمكالمتك مع القتيل أي أثر في علاقته مع رشا؟

- علمتُ أنه التقى بها في فندق ماريوت في نفس يوم مكالمتي له، وكانت ملامحهما تعكس توتر أثناء اللقاء، وتركها وانصرف والغضب ظاهر على وجهه، ولكنها ذهبت له مستشفى خاص في اليوم التالي، وكانت هذه أخر مرة يلتقيان فيها.

هل اتصلت بك رشا بعد مقتل أمجد؟

- لا.

- هل لا زلت تراقبها؟

- لا، وصدّقني أنا أنهيتها من حياتي الآن تمامًا، ويكفيها ما حدث لها مع أمجد.

أسند محمود جبينه بيده، وظلَّ يفكر قليلًا، بعدها سمح لحسام بالانصراف.

***

غادر حسام المكتب وبدأ سامح يسأل:

- كيف عرفت يا افندم أن حسام اتصل برشا، ونحن لم نطلب من شركة الاتصالات تتبع أي من تليفوناتهما؟

ردَّ بهدوء:

- عندما تعرف الشخصية جيدًا، تعرف كيف تصل للمعلومة، وحسام ذو شخصية انفعالية وعصبية، فمن المستحيل أن يستسلم لرشا بهذه السهولة التي أخبرنا بها، ومن المؤكد أنه حاول الاتصال بها بعد انفصالهما، وكان عليّ خداعه؛ حتى ينفعل ويحكي ما يخفيه، وهذا ما حدث.

- وهل كان صادقًا فيما حكاه؟

- طبيعة شخصيته تجعله يجاوب دون أن يخطط أو يفكر إذا ما تعرض لضغط نفسي، فعندما سألناه من قبل في مكتبه إن كان قد اتصل برشا، فكّر وأنكّر؛ لأنه كان هادئا.

أمَّا اليوم، فوضعته تحت ضغط نفسي فلم يفكر أو يخطط وكان صادقًا.

اتسعت عينا سامح وعلّق:

- معنى هذا أن رشا كاذبة وأن القتيل تراجع عن الزواج منها، وفي هذه الحالة يكون لديها دافع قوي للقتل!

شرد محمود بعينيه ونطق بصوت أقرب للهمس:

- أجزاء كثيرة من الصورة بدأت تتضح، وعليك بالصبر قليلا حتى نرى الصورة كاملة.

***

رنَّ جرس تليفون داليا، التقطته وتركت أوراق بيدها كانت تقرأ فيها وهي في مكتبها بشركة والدها، وجدت رقمًا غريبًا، ردَّت، فهاتفها صوت رجل، ودار بينهما الحوار التالي:

- آلو.

- آلو، مدام داليا؟

- نعم، مَن حضرتك؟

- شخص تهمه مصلحتكِ.

انفعلت وردَّت:

- مَن المتكلم؟

- ماذا كنتِ تفعلين في عيادة أمجد ليلة مقتله؟

صرخت وقالت:

- مَن المتكلم؟

ضحك مقهقهًا وقال:

- على أية حال أنا أعرف ماذا فعلتِ، ولكن البوليس حتى الآن لا يعرف.

بعصبية شديدة ردَّت:

- ماذا تريد؟

- نصف مليون جنيه.

صرخت:

- كم؟!

- لا تنسي أنكِ ابنة النشرتي باشا المليونير، ولن يبخل على ابنته بهذا المبلغ البسيط حتى ينقذها من حبل المشنقة، سأتصل بكِ بعد أسبوع لأحدد لكِ الزمان والمكان لاستلام النقود.

أُغلق الخط وظلَّت داليا واجمة تنظر بعينين زائغتين إلى المجهول ولم يعُد عقلها قادر على التفكير.

***

في الواحدة ظهرًا، استقبل محمود أشرف بوجه جامد وأشار له بالجلوس دون أن يتكلم معه، أضاع بعض الوقت بينما جلس أشرف هادئًا لا تبدو عليه أي علامات للقلق، حتى فاجئه محمود قائلًا:

- ماذا كنت تفعل عند زوجة القتيل صباح أمس؟

وعلى الفور ردَّ:

- ذهبت أقدّم لها واجب العزاء.

- ألم تذهب للعزاء في السرادق الخارجي؟

- بلى ذهبت، ولكن لم أتمكن من رؤيتها.

نظر له محمود متفرسًا في وجهه، وبنبرة حادة قال:

- لماذا تُصرّ على أن أغضب منك؟ في المرة السابقة حذرتك من إخفاء أي معلومات كما حذرتك من الكذب، والآن تأتي وتُصرّ على الكذب، وهنا طرق محمود بيده على مكتبه طرقة أوقعت الرعب في قلب أشرف، وواصل يقول بانفعال:

- وما رأيك أن زوجة القتيل أخبرتنا بسبب أخر لزيارتك لها؟

ارتعدت كل أوصاله، وتلعثم الكلام في فمه، وبصوت مرتعش قال:

- ماذا قالت مدام هويدا؟

بصوت منفعل ردَّ محمود:

- أنا هنا مَن يسأل وعليك أنت أن تجيب.

فكّر قليلًا، وردَّ بصوت مرتجف:

- ذهبتُ أطلب راتبي؛ لأننا في أول الشهر ولديّ التزامات

عديدة.

تَبدَّلت ملامح محمود ورسم على وجهه ابتسامة عريضة وقال بصوت هادئ:

- ولماذا لم تذكر الحقيقة من البداية، هي أيضًا قالت ذلك.

شعر أشرف أن روحه رُدّت إلى جسده، وبنبرة المنتصر قال:

- شعرتُ بالخجل من سيادتك لو قلتُ أني ذهبت أطلب نقودًا في هذه الظروف التي تمرّ بها أسرة المرحوم.

وبهدوء شديد تكلم محمود:

- هذه أخر مرة سأسمح لك فيها بالكذب، والمرة القادمة لن تخرج إلى بيتك وسأضعك في السجن حتى أنهي القضية.

- أعدك يا افندم أنها المرة الأخيرة.

أسند محمود ذقنه على يده وسأله:

- أخبرتني أن القتيل كان بصدد أن يتزوج رشا، لكن زوجته لم تصدّق هذا، والآن أريد أن اعرف رأيك أنت.

وعلى الفور ردَّ:

- بالتأكيد كان سيتزوجها، لقد رأيت الرسالة على موبايله بنفسي.

- ولكن لماذا لم تصدّقك زوجته؟

- مدام هويدا سيدة تمتاز بالطيبة والسذاجة، فربما واجهت زوجها وأقنعها بعكس ذلك فصدّقته.

همهم محمود قائلًا:

- معك كل الحق، هي بالفعل تمتاز بالطيبة والسذاجة، يمكنك الانصراف.

***

ما أن خرج أشرف من مديرية الأمن حتى أخرج موبايله من جيبه، كان على وشك الاتصال بهويدا ليتأكد منها أن ما قاله لمحمود تطابق مع أقوالها، لكنه تراجع في أخر لحظة وهمس في نفسه:

«ما هذا الغباء، من المؤكد أنها قالت ما قلته وإلّا كان العميد محمود يضعني في السجن الآن».

***

ضحك سامح ضحكة عالية بمجرد خروج أشرف وقال:

- الحقيقة يا افندم أنك تمتلك مهارة فائقة في التمثيل، فأنت تُظهر غضبًا شديدًا وفي لحظة واحدة تستبدله بالابتسام والهدوء.

ضحك محمود قائلًا:

- في مهنتنا نتعامل مع حواة، فلابد أن نكون أكثر مهارة منهم.

- ولكن ماذا لو اتصل أشرف بهويدا ليتأكد منها بخصوص تطابق أقوالهما؟

- لن يتصل بها الآن؛ لأنه على يقين أني صدّقته، بالإضافة أنه يعرف أن هويدا لابد أن تكذب علينا هي الأخرى، ولكنه في وقت ما سيكتشف الحقيقة، ولحظتها سيشعر بخوف حقيقي وهذا ما أرغبه، ووقتها سأحصل منه على ما أريد.

تذكّر شيئًا فقال:

- بمناسبة الاتصالات، أين تقرير الاتصالات الخاص بتليفوني أمجد الذي طلبته سابقا؟

- في الحقيقة وجدنا عليهما أرقاما كثيرة جدا، وجاري الاستعلام عن أصحابها.

- لا داعي لهذا، فقط ابحث فيهما عن أرقام داليا ورشا وهاني وحسام وأشرف، ثم كتب على ورقة صغيرة رقم تليفون أخر، ولمّا سأله سامح عن اسم صاحبه أجابه «عادل عبد الحميد الفيومي»، وأريده اليوم.

- تمام يا افندم.

قبل أن ينصرف سامح، طلب منه محمود استصدار إذن من النيابة بإحضار الكمبيوتر الخاص بأشرف الموجود بعيادة القتيل إلى مكتبه.

***

اتصل محمود برشا وحدد معها موعدًا في الخامسة عصرًا لزيارتها في منزلها، وبالفعل وصل في الموعد المحدد، وأجلسته في غرفة الاستقبال وبدأ حديثه على الفور بابتسامة قائلًا:

- جئتُ إليكِ في منزلكِ حتى لا تغضبي مرة أخرى، فأنا أحتاج لتعاونكِ معي.

- الحمد لله أنك تأكدت من صحة ما قُلتُه لك.

- على العكس تمامًا.

اتسعت عيناها، وباندهاش بالغ ردَّت:

- ماذا؟!

ابتسم وردَّ بهدوء:

- لم يكن كل ما قلتِه حقيقيًا، بل مُعظمه كان من تأليفكِ،

ولكن صوت بداخلي يهمس أنكِ بريئة من قتل أمجد، ولكن أخشى لو استمرت أكاذيبكِ معي أن يصمت هذا الصوت.

وقد جئتُ لمنزلكِ لأثبت حسن نواياي معكِ، وعليكِ الآن أن تثبتي حسن نواياكِ وتكوني صريحة معي بشكل مطلق.

توترت، وأشعلت سيجارة وقالت:

- يؤسفني أن تتهمني بالكذب وأنا...

قاطعها محمود ولم يُعطها فرصة لتكمل كلامها، وبنبرة حادة وحاسمة قال:

- لو واصلتِ على ما بدأتيه معي من حكايات مُختلقة، فسأنصرف ولكن سيكون لي معكِ تصرف أخر.

دمعت عيناها، ثم قالت بصوت منهزم:

- من الواضح أنه من المستحيل ان ينجح أحد في الكذب عليك، ولذا سأحكي لك ما تريد.

- بدايةً أريد أن أعرف لماذا طلبتِ من طليقكِ مبلغ مليون جنيه نظير تنازلكِ عن المحاضر؟

جففت دموعها وبدأت تحكي:

- كنتُ وحيدة أبويّ،توفاهما الله في حادث سيارة وكنت

في السنة النهائية في الجامعة، كانت صدمة شديدة بالنسبة لي.

أقمتُ مع خالتي في منزلها وهي الوحيدة لي في عائلتي، بعد أقل من شهرين اضطررت للعودة لمنزلي وأقمتُ بمفردي؛ لاستحالة العيش مع أسرة خالتي.

ترك لي والدي ميراثًا قليلًا أعانني على استكمال دراستي بالكاد، عملتُ بعد تخرجي بأحد البنوك، وبسبب ظروفي ووحدتي أصبحتُ مطمعًا لكثير من الشباب والرجال، ولكني نجحتُ في مواجهة صعوبات الدنيا وقسوتها، حتى التقيت حسام.

بدأت علاقتنا بصداقة جميلة، وبعد ستة أشهر من تعارفنا تزوجنا، وبالفعل كنت أحبه.

لكن بعد زواجي منه بشهر واحد، رأيته شخصًا أخر، كان عصبيًا بدرجة رهيبة، ينفعل لأتفه الأسباب، كان أسهل ما يفعله أن يقذفني بأي شيء في يده عند أي مشاجرة بيننا، تحمَّلته لأن حياتي السابقة وما عانيته فيها أرهقتني، فلم أعُد أرغب في العودة لها مرة أخرى.

وبعد مرورأربعة أشهر على زواجنا وفي إحدى مشاجراتنا، دفعني بيده دفعة قوية سقطتُ على إثرها على الأرض

بشكل عنيف، وفوجئت بنزيف حاد استدعى نقلي للمستشفى وهناك اكتشفت أني كنت في بداية حمل، وتعرضت لإجهاض نتيجة الارتطام بالأرض.

رجعتُ إلى المنزل وكان أشد ما فاجأني أن حسام لم يهتز له ساكنًا لما حدث، بل انتابني إحساس أنه لا يريد ابناء مني، فتحولتُ في تلك اللحظة لإنسانة أخرى.

امتلأ قلبي بالكراهية والغل من حسام بل ومن الدنيا كلها، وبعد أن كنت قد تصالحت مع الدنيا بعد زواجي وسامحتها على ما فعلته معي من غدر، رجعت لخصامها بل لكراهيتها، وصممّتُ ساعتها على الانتقام من حسام.

وبالفعل خططت ورتبت له محضرين في الشرطة أخرهما اتهمته فيه بالشروع في قتلي، ولم يكن أمامه إلّا الرضوخ لطلباتي، وحصلت منه على الطلاق ومبلغ مليون جنيه، بعد أن تأكد أن السجن مكانه لا محالة إذا لما أتنازل عن المحضر.

سكتت وبدأت عيناها تدمع من جديد، فناولها محمود كوب ماء ومنديلًا، وهدّأها ثم عاد وسألها:

- وما هي حكاية أمجد؟

جففت دموعها، وأشعلت سيجارة أخرى وحكت:

- بعد انفصالي عن حسام، قررتُ ألّا أتزوج مرة أخرى، رجعتُ إلى عملي حيث كنت في إجازة منذ زواجي، وكرّست كل تفكيري في العمل، وبدأتُ أحقق نجاحًا ملحوظًا.

مع مرور الأيام، بدأتُ أرى الدنيا بشكل أفضل، بل وفكرتُ في الزواج مرة أخرى، ولكن بقى بداخلي هاجس الخوف من الرجال يُقلقني دائمًا، فقررتُ الذهاب إلى طبيب نفسي.

تعرّفتُ على أمجد وحدث ما لم أكن أتصوره، شعرتُ ناحيته بانجذاب شديد بل شعرت معه ما لم أشعر به مع إنسان من قبل، ولم يمضِ شهر على تعارفنا حتى أصبحنا أصدقاء، وبعد أقل من شهر تصارحنا بالحب واتفقنا على الزواج.

بدأتُ وقتها أرى أن الحياة صالحتني ولم تكتفِ بمد يدها لتصافحني بل أنها احتضنتني، عشتُ أجمل أيام حياتي، ولكن يبدو أننا نولد وحظوظنا مُعلقة في أعناقنا لا تتبدّل أبدًا، فلم تدُم سعادتي طويلًا.

قبل موعد زواجنا بأسبوع واحد، إذا بحسام يتصل بي، ويهددني بفضحي عند أمجد، فلم أهتم لأني تصورت أن حُبَّ أمجد لي سيجعله يصدّقني في كل ما سأحكيه له عن حسام، ولكن في نفس اليوم فوجئتُ بأمجد يتصل بي ويحدد موعدًا نلتقي فيه بصورة عاجلة.

التقينا وأخبرني أن حسام اتصل به، فحكيث له حكايتي معه وأقسمت له أنه ظلمني، فإذا به يطلب مني إرجاء زواجنا لبعض الوقت.

قاطعها محمود وسألها:

- وما الذي أقلقه منكِ؟

- أفهمه حسام أني أتزوجه طمعًا في ماله وسأقضي معه بعض الوقت بعدها أساومه على مبلغ من المال، وانفصل عنه.

التقطت أنفاسها اللاهثة وأردفت:

- توسلتُ له واستجديته ألّا نؤجل زواجنا، لكنه صمَّم على قراره، وانصرف وتركني وحدي.

لم أنم ليلتها وكاد عقلي يجنّ، وأخيرًا اهتديت لفكرة، أن أكتب وصل أمانة ويضع فيه أمجد المبلغ الذي يريده وأوقّع له عليه، وبذلك يضمن أني لن أساومه في يوم من الأيام إن كان لا يُصدّقني.

وبالفعل في صباح اليوم التالي، ذهبتُ له في مستشفى خاص يعمل به، وأنا على يقين أن فكرتي ستعجبه وتؤكد له إخلاصي، ولكن فاجأني بأنه ما زال مُصرًّا على احتياجه وقت ليفكر، فثارت ثائرتي وقذفتُ بإيصال الأمانة في وجهه،

وتركته والشرر يتطاير من عينيّ، وأنا ناقمة عليه وعلى الدنيا وعلى نفسي.

عشتُ أصعب أيام حياتي، ثم فوجئتُ به يتصل في منتصف ليلة اليوم السابق لقتله، ويخبرني أنه لا يستطيع العيش بدوني، وأن زواجنا في موعده المحدد.

- وبماذا رددتِ عليه؟

- بكيتُ ولم أستطع الكلام، لكنه لم يُغلق التليفون إلّا بعد أن سمع موافقتي، لحظتها اختلطت بداخلي مشاعر الفرحة بالقلق، ولم أكن أدرك إن كنت في حلم أم حقيقة، وهذا ما جعلني أذهب أبحث عنه يوم أن اكتشفت موته.

انتابتها حالة من البكاء الشديد، وظلَّ محمود صامتًا حتى هدأت تماما فسألها:

- هل أرسلتِ له أي رسائل على تليفونه المحمول قبل قتله بيوم واحد أو يوم قتله؟

- لا، فمنذ مشاجرتي معه في العيادة لم أتصل به أو أرسل له أي رسائل، فقط هو من اتصل بي، وحتى في يوم مقتله، اتصل بي صباحًا يحاول مصالحتي، ولكن كنتُ في حالة نفسية متخبطة، فطلبت منه أن يتركني لأهدأ، ووعدني باتصال أخر في نهاية اليوم، ولمّا لم يفعل، ظننت أنه تراجع

مرة أخرى، ولكني صمَّمتُ ألّا أتصل به، ولم أكن أعلم أنه مات.

- هل هناك أي شيء أخر تريدين أن تخبريني به؟

بصوتٍ منكسر ردَّت:

- صدّقني لم يَعُد هناك شيءٌ يُحكى.

***

تملّك القلق من عزة زوجة أشرف بسبب حالة الشرود التي سيطرت عليه منذ أن عاد من مديرية الأمن، أغلق على نفسه الحجرة والتزم الصمت وظلَّ يدخن بشراهة، فاندفعت داخل الحجرة وسألته بانفعال:

- لابد أن تخبرني ماذا حدث، لا أستطيع أن أراك على هذا الحال وأظل صامتة؟

نظر لها طويلًا وقال:

- أمامي طريقان، الطريق الأول يكتب لنا السعادة طوال حياتنا ولكنه قد يؤدي بي إلى السجن، أمَّا الثاني فهو أن أختار الحياة التي نعيشها، وهو طريق صعب سنعاني فيه حتى نموت.

صرخت عزة:

- السجن! تختار طريقًا يؤدي بك للسجن وتتركني أنا وطفلتك، هل جننت؟

صرخ قائلًا:

- لقد تعبت ولم أعد احتمل عبء الحياة، لقد كان بيني وبين السعادة خطوة واحدة لولا هذا العميد فهو أذكى مما تصورت، وأصبحت أشعر أنه يعرف كل شيء حتى ما أفكر فيه.

ربتت زوجته على ظهره بحنان وقالت:

- إذن دعك من أي أفكار قد تؤذيك، ودعنا نكمل حياتنا وبإذن الله ستتحسن أمورنا، صدّقني لا شيء يساوي حرماننا منك بدخولك السجن.

ردَّ منفعلًا:

- ولكن هناك أخرين سينعمون بحياة سعيدة بفضلي، بينما أبقى أنا على حالي البائس، فهل هذا عدل؟!

- هذه إرادة الله ولا يحق لنا أن نعترض.

نهض من على سرير كان يجلس عليه، نظر لها مليًا والشرر يتطاير من عينيه، ألقى بالسيجارة ودهسها بقدمه، وقال بغضب:

- لن أجعلهم يهنأون وأعيش أنا تعيس.

خرج مسرعًا، وحاولت زوجته أن تلحق به لكن دون جدوى.

***

تَلفَّتَ أشرف يمينًا ويسارًا ثم دخل إحدى كبائن التليفونات الموجودة بالشارع، واتصل برقم ودار الحوار التالي:

أشرف: آلو.

الصوت: ....

أشرف: ليس مهمًا مَن أكون، ولكني الوحيد الذي أعرف السرّ.

الصوت: ....

أشرف: أيًا كان درجة التنكر، أنا أستطيع تمييز الوجوه جيدًا.

الصوت: ....

أشرف: أريد مائة ألف جنيه، ولن أنتظر أكثر من أسبوع.

الصوت: ....

أشرف: سأتصل مرة أخرى لأحدد مكان وزمان استلام

النقود.

أغلق سماعة التليفون، خرج من الكابينة وابتسامة عريضة تُغطي وجهه، ملأ رئتيه بالهواء ثم أخرج سيجارة أشعلها، ومضى في طريقه يدندن بأغنية يحبها.

***

عاد محمود إلى مكتبه وكانت الساعة أوشكت على التاسعة ليلًا، وجد على مكتبه ظرفًا أرسله له سامح بداخله تقرير الاتصالات الخاص بأمجد، أخرج مفكرته ودوّن فيها:

اتصال واحد من تليفون حسام لأمجد قبل أسبوع من قتله.

اتصالات متعددة بين رشا وأمجد متطابقة مع أقوالها.

لم يتصل به أي من التليفونات الأخرى التي استعلم عنها.

اتصل بسامح وطلب منه على وجه السرعة تقريرًا من شركة الاتصالات عن تليفونات «داليا ورشا وهويدا وأشرف وعادل»، في أخر ثلاثة أيام قبل مقتل أمجد وحتى الآن.

أعاد قراءة ملف القضية كما لو كان يقرأه لأول مرة، أغلق الملف وأرجع رأسه للوراء، وأغمض عينيه وغرق في التفكير، وفجأة فتح عينيه وهمس:

« بقى هناك شيء واحد لا أجد تفسيره.. شيء واحد فقط».

ترك مكتبه حائرًا ورجع منزله، حاولت زوجته أن تهوّن عليه كما حاولت أن تعرف منه أي شيء عن القضية، لكنه أسلم نفسه للنوم دون أن ينطق بحرف.

***

(يوم الأحد)

استيقظ محمود في السابعة صباحًا، وكان أول ما فعله أن اتّصل تليفونيًا بالمهندس عادل، ودار بينهما الحوار التالي:

- أرجو منك يا باشمهندس إحضار صورة لزوجتك مع صورة من رقمها القومي، وتأتي بهما إلى مكتبي الآن.

- بصوت مندهش ممزوج بالقلق ردَّ:

- وما شأن زوجتي في قضية سيادتك يا افندم؟

ضحك محمود وردَّ:

- شأنها أنها زوجة الرجل الذي سبب لي صداعًا ولم أستطع أن أشفى منه حتى الآن.

أغلق محمود الخط دون أن ينتظر ردًّا منه، تناول افطاره على عجل وتوجه إلى مكتبه، وفي غضون ساعة دخل عادل عليه المكتب ووجه يعكس علامات الضيق ممزوجًا بقلق، فبادره محمود قائلًا:

- لايوجد ما يدعو للقلق يا باشمهندس، كلها إجراءات روتينية.

- عقلي لا يستطيع أن يصدّق أن طلبك لصورة زوجتي

وصورة من رقمها القومي إجراءات روتينية.

ضحك وردّ:

- وأنا حتى الآن عقلي لا يستطيع أن يصدّق حلمك، ولكنها الحياة تعلمنا كل يوم أن هناك أشياء لا يُصدّقها العقل.

شكره محمود، مشى عادل وهو شارد الذهن، وقبل أن يصل إلى باب المكتب، استوقفه وسأله:

- ما هو اسم المرحوم ابنك؟

بصوت منكسر ردّ:

- شريف.

***

في العاشرة صباحا، أرسل سامح لمحمود جهاز الكمبيوتر الخاص بأشرف والموجود بعيادة أمجد، ومعه كلمة السِرّ الخاص به بعد أن عرفها من أشرف.

بحث في الملف الخاص بملفات المرضى عن اسم «عايدة محمود الأنصاري» وهو اسم زوجة عادل، ولم يجده، ثم بحث عن اسم شريف ابنه، فلم يجده أيضًا، أغلق الكمبيوتر بعد أن تأكد أن أيًا من أسرة عادل لم يكن يومًا من بين مرضى أمجد.

فجأة تذكر أمرًا ففتح الكمبيوتر مرة أخرى، وبحث عن ملف المدعوة حنان أخر مريضة سُجِّلت بالعيادة قبل موت أمجد، لكنه لم يجد أثرًا لهذا الملف.

اتصل على الفور بسامح وطلب منه استخراج إذن من النيابة بتفتيش عيادة أمجد، وفي أقل من ساعتين كان محمود برفقة سامح داخل عيادة أمجد يبحثان في كل مكان عن ملف ورقي للمدعوة حنان، ولم يكن له أثر، ثم فتَّش محمود في جميع أدراج المكتب الخاص بأمجد بحثًا عن إيصال الأمانة الخاص برشا ولكن أيضًا لم يكن له أثر.

غادرا العيادة ومحمود غارقًا في التفكير، وقبل أن يترك سامح طلب منه استعجال تقرير شركة الاتصالات، فأخبره أنه سيكون عنده مساء اليوم.

***

في السادسة مساء، حضر سامح إلى محمود ومعه تقرير المعمل الجنائي وصورة من تقرير الطبيب الشرعي، وتقرير شركة الاتصالات، وبادر قائلًا:

- وجدتُ أمرًا عجيبًا يا افندم.

- ما هو؟

- هناك رقم اتصل بتليفوني داليا والمدعو عادل الفيومي ، وتبين أن هذا الرقم لتليفون عمومي، والكابينة تقع في منطقة عيادة أمجد.

أمّا رشا، فقد استقبل تليفونها مكالمة من تليفون القتيل في اليوم السابق لوفاته، ومكالمة صباح يوم الجريمة، لكنها لم تتصل به إلّا ظهر اليوم التالي للجريمة.

وبخصوص تليفون أشرف، فقد اتصل بهويدا في الثامنة مساء يوم الجريمة، أي قبل وقوعها بنحو ساعتين، كما اتصل بها في السادسة صباحا أي بعد مقتل أمجد بساعات قليلة.

- متى تم الاتصال بداليا وعادل؟

- أمس.

لمعت عينا محمود بعد سماعه هذه الأخبار، وأخذ تقرير شركة الاتصالات فتصفحه مليًا، سكت يفكر، وفجأة بنبرة قلقة تكلم وقال:

- اقبض على أشرف الآن فحياته في خطر، وأحضره لي المكتب واحرص أن تكون الكلبشات في يده، وألّا تخبره عن سبب القبض عليه.

***

انصرف سامح على عَجَل للقبض على أشرف، وجلس محمود يقرأ تقرير الأدلة الجنائية وتقرير الطب الشرعي وكان أهم ما جاء فيهما:

« القتل تم بمسدس عيار 9 مللي مزود بكاتم للصوت، توجد فتحة دخول وخروج للرصاصة، تم مناظرة الحالة في الساعة الواحدة والنصف صباحًا ولم يكن مضى على الوفاة أكثر من أربع ساعات، المسدس الموجود في مسرح الجريمة هو نفس المسدس المستخدم في القتل، لا توجد أي بصمات في مسرح الجريمة باستثناء بصمات للسكرتير».

أعاد مشاهدته لشريط تسجيل الكاميرات وفجأة صرخ:

- أشرف لم يخرج من العمارة في العاشرة.

التقط تليفونه واتصل بسامح قائلا:

- أريد شريط تسجيل الكاميرات الموجود لديك فورًا.

- سأرسله في الحال مع أحد الضباط.

عكف محمود على كتابة ملاحظاته وتحليله لما وصل إليه، حتى دخل عليه أحد الضباط وسلّمه شريط تسجيل الكاميرات وانصرف، وعلى الفور وضعه في الكمبيوتر، وبدأ يشاهده من توقيت الساعة التاسعة، وهو يدوّن في مفكرته

ما يراه، وعند الساعة التاسعة والنصف، صرخ مرة أخرى وهتف:

«ها هو أشرف يخرج من العمارة».

- أكمل مشاهدة التسجيل فرأى امرأة تدخل في العاشرة إلّا عشر دقائق وتخرج بعد خمس دقائق، بعدها جاءت المشاهد التي رأها من قبل، استمر في المشاهدة حتى رأى أشرف يدخل العمارة في العاشرة والنصف يحمل شنطتين من البلاستيك، فضحك وهتف:

«أنا على صواب، أشرف لم يخرج في العاشرة ودقيقة، أشرف كاذب».

غرق في أفكاره، ووضع رأسه بين كفيه وأخذ يهمس في سرّه:

القتل تم بعد التاسعة والنصف، وهذا مستحيل، فهل أنا مُخطئ؟!

سكت لحظات وهمس بغضب:

«لا يُمكن... لا يُمكن أن أكون مُخطئًا».

***

في الحادية عشرة ليلًا، وبينما كان محمود غارقًا في

أفكاره، فُتِحَ الباب ودخل منه سامح وخلفه أشرف في يده الكلبشات مع أحد أمناء الشرطة.

كان أشرف يبدو كالفأر المذعور ولم تكن ساقاه تقويان على حمله، نظر له محمود متفرّسًا وقال:

- حذرتك كثيرًا يا أشرف وللأسف لم تسمع نصيحتي، وأنا أتهمك الآن بقتل الدكتور أمجد.

فصرخ أشرف:

- أقسم لك أني بريء ولم أقتله، سأعترف لسيادتك بالحقيقة كاملة ولكن أنا لم أقتله.

بتهكم واضح ردَّ محمود:

- في كل مرة كنت تقسم أنك ستقول الحقيقة ولم تَصدُق معي مرة واحدة.

وبصوت يرتعد ردَّ:

- اعطني أخر فرصة وسترى سيادتك، فأنا لأول مرة أرى يديّ في الكلبشات.

كان محمود قد أوصى سامح أن يحرصوا على وضع يدي أشرف في الكلبشات؛ لأنه كان يعلم مدى تأثيرها النفسي عليه.

قام محمود وترك مكتبه، وانصرف عائدًا إلى بيته، بعد أن أوصى سامح باحتجاز أشرف في حجرة خالية مجاورة لمكتبه تحت الحراسة.

***

(يوم الإثنين)

تجاوز الوقت منتصف الليل بقليل، ومحمود يتناول عشاءه مع ناهد زوجته ودار بينهما الحوار التالي:

- لأول مرة لا تحكي لي عن قضية تُحقق فيها وأراك شارد الذهن دائمًا، فما السبب؟

لم يردّ على سؤالها ولكنه سألها بغتة:

- هل تؤمنين بالأحلام يا ناهد؟

وبسرعة فائقة وابتسامة تملأ وجهها ردَّت:

- كان لي عمة تتحدث عنها عائلتنا ومعارفنا، فهي إذا رأت في منامها فتاة تتزوج، فتتحقق رؤياها حتى لو كانت تلك الفتاة عانس، وإذا رأت في منامها أن أحدًا يموت، فكان يموت حتى لو كان شاب ولم يكن لديه سبب ظاهر للموت.

عاد محمود لشروده وواصلت زوجته الكلام قائلة:

- أنا ذاهبة غدًا لحضور أول اجتماع خاص بجمعية نساء ضد عنف الأزواج.

- أين يقع مقر هذه الجمعية؟

- في مدينة نصر، ولكن رئيسة الجمعية تعاني من انفلونزا،

فعرضت علينا أن نجتمع في منزلها في التجمع الخامس ووافقنا.

وكأن ثعبان لدغ محمود، فهبّ واقفًا، وقبّل زوجته من جبينها، واندفع مغادرًا المنزل وتركها في ذهول.

***

في طريقه إلى مكتبه أجرى اتصالًا مع أحد الأشخاص، وبعد اعتذاره له عن الاتصال في هذه الساعة المتأخرة، سأله عدة أسئلة أغلق بعدها الخط، وهمس مبتسمًا:

«لم أكن مخطئًا».

بمجرد وصوله لمكتبه اتصل بسامح وكانت الساعة تقترب من الواحدة صباحًا، وكلّفه بإخراج أربع مأموريات لإحضار كل من هويدا وداليا ورشا والمهندس عادل الفيومي (أملاه عنوان بيته)، على أن تكون هذه المأموريات أمام بيت كل منهم في السادسة تمامًا، ويتواجدوا جميعًا في مكتبه في الثامنة صباحًا، ولكن دون وضع الكلبشات في يد أحد منهم.

غادر مكتبه ومشى إلى نهاية الطابق، حيث يقع مكتب اللواء الشوربجي مساعد الوزير للبحث الجنائي، بعد أن اتصل به وعرف أنه لايزال موجودًا، ودار بينهما الحوار التالي:

- ما هي الأخبار يا محمود؟

- الحمد لله يا افندم، توصلت لمن قتل أمجد، ولكن للأسف الأدلة ضعيفة، وأي محامي يستطيع الحصول على البراءة في القضية بمنتهى السهولة، ولكن لديّ خطة أدعو الله أن تنجح.

- وما هي؟

- أمرت بالقبض على المشتبه فيهم جميعًا، وسأجتمع بهم صباحًا، وأرجو أن يكون الاجتماع في مكتب سيادتك، وستشاهد بنفسك ما أنوي فعله.

- ولماذا لم تقبض عليهم الآن؟

- أحتاج وقت طويل للتحقيق مع أحد المشتبه فيهم وهو موجود بمكتبي؛ حتى أستوضح بعض الأمور التي ستفيدني جدًا في اجتماعي مع الأخرين.

- على العموم سأكون موجودًا في مكتبي من الثامنة صباحًا في انتظارك.

***

أمر محمود بإحضار أشرف، فدخل وبدا على وجهه علامات الانهيار النفسي، وما أن وقعت عيناه على محمود، حتى عاد

يُقسم بصوت منكسر أنه يريد فرصة أخيرة، ولن يقول سوى الحقيقة كاملة، تفحَّصه محمود جيدًا من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه، ثم سمح له بالجلوس وأمر بفك الكلبشات من يديه، وتكلم قائلًا:

دعنا نتحدث أولًا وبعدها أقرر إن كنت تقول الحقيقة، أم أنت مستمر في كذبك.

استمر محمود يحقق مع أشرف ويسأله قُرابة الثلاث ساعات، بعدها أمر بإعادته مرة أخرى إلى الحجرة المجاورة لمكتبه، بعد أن أمر بعدم وضع الكلبشات في يديه، وطلب له وجبة عشاء بعد أن علم أنه لم يأكل منذ قدومه.

دوَّن بعض الملاحظات في مفكرته الخاصة، ثم قام وصلى الفجر، بعدها نام على سرير بحجرته لمدة ساعتين.

***

استيقظ محمود في السابعة، تناول ساندوتشات فول وطعمية سريعًا، ثم طلب كوبًا من القهوة، شربه وهو يُعيد ترتيب القضية في شكلها الأخير، حتى دخل عليه سامح وأعطاه تمام المأموريات الأربعة وأبلغه أن الجميع موجودون خارج مكتبه، فطلب منه أن يتركه قليلًا بمفرده.

أجرى مكالمة تليفونية، واتصل بعدها باللواء الشوربجي؛

ليستأذنه في بدء الاجتماع، ثم طلب من سامح اصطحاب الجميع لمكتب اللواء الشوربجي.

***

دقَّت الساعة التاسعة صباحًا، التفَّ الجميع حول طاولة اجتماعات كبيرة، جلس اللواء الشوربجي على رأسها، وعلى يمينه الرائد سامح ومن بعده المهندس عادل، وأخيرًا أشرف، وجلس على يسار الشوربجي رشا ومن بعدها داليا ثم هويدا، بينما وقف محمود أمام الطاولة مواجهًا الجميع كمدرس يُلقي محاضرة لطلابه.

بدأ محمود كلامه قائلًا:

- جمعتكم الآن لأخبركم مَن قتل الدكتور أمجد، والحقيقة لن أقول - كما هو معتاد في الروايات البوليسية - أن بينكم شخصًا واحدًا هو القاتل، ولكن سأقول أن بينكم شخصًا واحدًا هو البريء.

أمَّا الباقيين، فاشتركوا جميعًا في جريمة قتل أمجد، إمَّا بالتخطيط، أو بالتمني، أو بإخفاء معلومات، أو بتنفيذ القتل.

علت أصواتهم وصرخاتهم، فأشار بيده وبحسم واصل كلامه:

أرجو أن تلتزموا الصمت وستعرفوا بعد قليل مَن منكم الشخص البريء.

علت وجوه الجميع أمارات الفزع، وغلّف الصمت المكان، فعاود محمود حديثه قائلًا:

مع سير التحقيقات، عرفت أن أشرف السكرتير يُخفي الكثير، ولأنه يتمتع بذكاء فلم يكن بالأمر اليسير الإيقاع به.

إلى أن وقع في أول خطأ عندما سألته عن سبب زيارته لهويدا، فادّعى أنه ذهب يطلب راتبه، فأوهمته أن هويدا أيضًا أقرّت بذلك، وربطت هنا أول خيطين ببعضهما وهما أشرف وهويدا.

وجاءني أمس تقرير شركة الاتصالات، واكتشفت أن أشرف اتصل بهويدا في السادسة صباحا بعد مقتل أمجد بساعات قليلة، وكان وقتها في قسم الشرطة ينتظر التحقيق معه.

فاستنتجت أن هناك الكثير بينهما الذي يعطيه الحق للاتصال في هذا الوقت المبكر، مع زوجة صاحب العمل، ولم يمرّ على موت زوجها عدة ساعات.

كما وجدنا رقم تليفون اتّصل بداليا وعادل أول أمس في وقتين مختلفين، وتَبيّن أن هذا الرقم خاص بكابينة تليفون عمومي تقع بالقرب من عيادة أمجد، فاستنتجت

أنه أشرف، من قبل أن أرى تقرير المراقبة الخاص به والذي أكّد مشاهدته يدخل هذه الكابينة في نفس أوقات الاتصال المسجلة.

ولأول مرة أستطيع أن أمسك خيطًا من الممكن أن يصل بي لعلاقة عادل بالقتيل، والتي بحثت عنها كثيرًا.

وبما أن أشرف يقوم بهذه الاتصالات من تليفون عمومي مما يوحي بأنها تليفونات غير بريئة، وبمعرفتي بشخصيته، استنتجت أنه يبتزهم جميعًا.

تأكدتُ أن أشرف في خطر، فهو يواجه قاتل لن يتوانَ عن ارتكاب جريمة قتل ثانية، فأمرتُ بالقبض عليه خوفًا على حياته، وأيضًا حتى يفتح لي خزائن أسراره.

وأعود لأستعرض مسرح الجريمة وبعض المعلومات معكم:

الدكتور أمجد مقتولًا على كرسي مكتبه.

أداة القتل مسدس مُزوَّد بكاتم للصوت موجود على المكتب.

تمَّت الجريمة بعد العاشرة ليلًا (موعد انصراف أشرف أخر من شاهد أمجد حيًا) وبين الحادية عشرة والنصف ليلًا (عندما حضرت هويدا زوجة القتيل واكتشفت الجريمة

وكانت بصحبة البواب).

المشتبه الأول فيه سيدة تُدعى حنان، اتصلت بأشرف تحجز موعدًا متأخرًا للكشف.

فتّشت عن ملف المدعوة حنان، فلم أجد لها ملفًّا ورقيًا أو حتى بيانات في الكمبيوتر، على الرغم من ادّعاء أشرف بأن أمجد طلب منه تجهيز ملف لها.

ليس هذا وحسب، بل ادَّعى أن حنان اتصلت به في الساعة العاشر إلّا عشر دقائق مرة ثانية، وبمراجعة تقرير شركة الاتصالات اكتشفت أن تليفون العيادة لم يستقبل إلّا اتصالًا واحدًا في الساعة التاسعة والثلث من تليفون عمومي.

ثم نأتي إلى شريط تسجيل الكاميرات الذي أوضح أن سيدة دخلت العمارة في العاشرة وخرجت تهرول في العاشرة وعشر دقائق، فتصورنا أنها المدعوة حنان.

من ناحية أخرى أشرف ادّعى أنه لم يقابل حنان، وشاهدنا في الكاميرات خروجه في الساعة العاشرة ودقيقة واحدة، ولم نهتم بفرق الدقيقة بعد أن برَّرها لي سامح بطريقة مقنعة.

كنتُ أشاهد تسجيل الكاميرات بصورة شبه يومية ؛لأن بُعد الكاميرات يجعل تحديد الشخص على وجه الدقة مستحيلًا،

وبينما كنتُ أشاهده بالأمس، لفت انتباهي لأول مرة عرج خفيف جدا في حركة أشرف، لم ألحظه قط في كل مقابلاتي معه، فتذكّرتُ على الفور أن بواب العمارة له نفس الهيئة التي عليها أشرف ويرتدي بنطال وبلوفر مثل ملابس أشرف، ولديه عرج خفيف في حركته.

ولأن أشرف لم يكن يعلم بوجود كاميرات؛ لأن تثبيتها تمَّ في نفس يوم الجريمة، فأخبرنا بمغادرته في العاشرة، وكان محظوظًا أن يتصادف خروج البواب في نفس التوقيت، فصدّقناه.

اكتشفت لحظتها أني وقعت في خطأ عندما كنت أشاهد شريط تسجيل الكاميرات معتمدًا على المعلومات التي أدلى بها أشرف، فأعدتُ مشاهدة الشريط من الساعة التاسعة، فرأيتُ ما يلي:

رجل عجوز يمسك عصا ويمشي ببطء يدخل العمارة في التاسعة والثلث (المستشار خيري مريض الساعة التاسعة والنصف).

امرأة تخرج من العمارة في التاسعة وخمس وعشرين دقيقة (مدام منى مريضة الساعة التاسعة).

أشرف يغادر العمارة في التاسعة والنصف.

المستشار خيري يخرج في العاشرة إلّا الربع.

امرأة تدخل مسرعة في العاشرة إلّا عشر دقائق، وتغادر مهرولة في العاشرة إلّا خمس دقائق.

امرأة تدخل في العاشرة، وتغادر مهرولة في العاشرة وعشر دقائق.

البواب يخرج في العاشرة ودقيقة، ويعود في العاشرة والنصف.

هويدا تدخل العمارة في الحادية عشرة وعشرين دقيقة.

ما سبق جعلني أعيد النظر في مشهد مسرح الجريمة والمعلومات المتعلقة به؛ لتكون الصورة المؤكدة هي:

تمَّت الجريمة بين التاسعة والنصف ليلًا والحادية عشرة والنصف، حيث وقَّع الطبيب الشرعي الكشف علي الجثة في الواحدة والنصف صباحًا وكتب في تقريره أن الوفاة لم يَمرّ عليها أكثر من أربع ساعات (أي بين التاسعة والنصف ليلا والواحدة والنصف صباحا)، ونحن على يقين من وقت اكتشاف الجثة في الحادية عشرة والنصف، بشهادة هويدا والبواب.

موعد انصراف أشرف من العيادة في التاسعة والنصف.

بالرغم أن رواية أشرف عن المدعوّة حنان يُغلّفها الغموض والكذب، لكنها حضرت في موعدها في العاشرة.

هناك امرأة أخرى مجهولة مشتبه فيها.

- وهنا تبادر لذهني سؤال:

«هل أشرف هو مَن قَتل أمجد، واختلق تلك الرواية؟».

شرب قليل من الماء وأردف:

- الإجابة بالطبع لا يُمكن، وإلّا كان المستشار خيري اكتشف الجريمة وأبلغ عنها.

وهنا يأتي السؤال الذي يليه:

«إذا كان أشرف لم يقتل، فهل اشترك في التخطيط لقتل أمجد؟»

- فكانت إجابتي لا، وذلك بسبب تحليلي لشخصيته، فمن خلال تحقيقاتي معه، اكتشفت تَعطّشه الدائم للنقود، مما يجعل لديه الاستعداد لأن يقوم بأفعال مشينة كقبوله التجسس على القتيل لصالح زوجته، أو الابتزاز، ولكنه في نفس الوقت يسعى لإيجاد مبررات حميدة تُبرّر له تصرفاته المشينة.

وشخصية بهذه الصفات لا تشترك في عملية قتل، ولكن من

الممكن أن يستخدمها القاتل لصالحه دون علم منه.

وهنا يأتي السؤال:

«مَن خطط للجريمة واستخدم أشرف دون علم منه؟».

خيَّم صمت رهيب على الغرفة، فأشار محمود إلى أشرف قائلًا:

- سأترك أشرف يعترف لكم.

بصوت مرتعش قال:

- مدام هويدا هي مَن خططت للجريمة واستخدمتني.

صرخت هويدا:

- ما هذا الجنون! كيف تجرؤ أن تدَّعي هذا!

تدخَّل محمود، وبنبرة حاسمة قال:

- دعيه يُكمل ولا تقاطعيه إطلاقًا.

أكمل أشرف:

- كنتُ أراقب الدكتور وأنقل لها أخباره، ومنذ شهر تقريبًا عرفتُ أنه بصدد الزواج من مدام رشا، أبلغتُها، في البداية غضبتْ ولكن بعد ذلك وجدتها تستهزئ بالأمر وتُكذّب أي شيء أقوله بشأن هذا الموضوع.

فوجئتُ بها قبل الجريمة بأسبوع تأتي العيادة في موعد فتحها ، وبدأتْ تُبرر مجيئها المفاجئ بأسباب واهية لم تنطلِ عليّ، ثم أرسلتني لشراء علبة سجائر لها، ففهمت أنها تريد شيئًا من العيادة.

وبالفعل عندما رجعتُ إلى العيادة، وانصرفت هي، اكتشفتُ أنها تصفحت ملف المرضى على الكمبيوتر الخاص بي، ولكن لم أعلم عن أي شيء كانت تبحث.

بعد ثلاثة أيام جاءت في نفس موعد فتح العيادة، وطلبت مني مساعدتها في أمر هام مقابل مبلغ ألف جنيه، وأبلغتني أن هناك مريضة تهددها بهدم بيتها وفضح الدكتور، إذا لم تدفع لها مبلغ من المال، وأنها قررت أن تدفع لها لتُسكتها.

وكل ما طلبته مني أن أتّصل بها وأقول لها بالحرف:

«أنا أشرف، بمجرد تجهيز الأمانة، ستتصل بكِ المدام وتخبركِ بالموعد».

وبالفعل طلبتُ رقم من تليفون العيادة وأعطتني السماعة، وردّت سيدة على التليفون، فأبلغتُها الرسالة، ثم أغلقتُ الخط دون انتظار أي ردّ منها، كما أوصتني مدام هويدا.

ثم سألتُها لماذا جعلتني أحدثها وأعرّفها بنفسي، طالما هي

تتواصل معها؟ فأجابتني أنها أفهمتها أني أخوها؛ حتى تعرف أن وراءها رجالًا، فأبديت استعدادي على الفور في أن أقوم بتسليم النقود لهذه السيدة بدلًا منها، فشكرتني وقالت:

«من الممكن أن نتفق على هذا الأمر فيما بعد».

وفي يوم الجريمة، فوجئت بمدام هويدا تأتي العيادة في وقت فتحها، تصرخ قائلة:

« مصيبة يا أشرف، هل تعلم أن رشا مجنونة ومصممة على قتل أمجد؛ لأنه يرفض الزواج منها، واتّصلت بي وأكدت أنها ستقتله اليوم، والكارثة أن أمجد لا يُصدّقني، لكني أبلغت ابن خالتي لواء في الشرطة، ووضع خطة لمحاصرة العيادة وحماية أمجد، وأنت ستقوم فيها بدور رئيسي».

أبديتُ استعدادي على الفور، وسألتها عن دوري فقالت:

«عليكَ بمغادرة العيادة في التاسعة والنصف تمامًا، بعد أن تختلق للدكتور أي عذر، ولكن لا تُخبره بأي شيء حتى لا يغضب، وسيقوم ابن خالتي اللواء بالاحتياطات اللازمة، ولكن أهم جزء في الخطة كما أفهمني هو توقيت انصرافك».

أكّدتُ لها أني سأفعل ما قالته بالحرف، وبالفعل في التاسعة والنصف تمامًا أدخلتُ المريض الوحيد الموجود بالعيادة، وسلّمت الدكتور الإيراد اليومي وانصرفت.

كنت في قمة الفضول لأتابع الأحداث التي ستحدث؛ لدرجة أني نسيت أخبر مدام هويدا أن هناك مريضة اتصلت ومن المفترض أن تأتي في العاشرة، وأيضًا نسيت تجهيز ملف لها.

تواريث في مكان قريب من العمارة أستطيع منه رؤية كل شيء، وبعد بضع دقائق فوجئت بمدام هويدا تدخل العمارة.

فعادت هويدا تصرخ وتكذّبه، لكن محمود أسكتها وقال:

- كل شيء مُسجّل بالكاميرات وتحققنا من كل ما يقوله أشرف، فلا داعي لهذه التمثيليات.

غطى وجهها العرق وتسارعت أنفاسها، وعاد أشرف يُكمل حكايته:

- بعد خمس دقائق، خرجت مدام هويدا، وبعدها رأيتُ مدام داليا تدخل العمارة، وخرجت بعد عشر دقائق، وكانت توقف سيارتها بالقرب من مكان اختبائي، ولكنها لم تَرَني، رَكبَتْ سيارتها وقادتها بسرعة جنونية.

تسمَّرتْ قدماي في مكانهما، ولم أفهم ما يدور داخل العيادة، ولم أرَ الشرطة التي أبلغتني عنها مدام هويدا، أو حتى مدام رشا.

مرَّ الوقت دون أن أدري، فكنتُ مستغرقًا في التفكير، حتى

لاحظت أن الساعة تقترب من الحادية عشرة والدكتور لا يزال بالعيادة، تأكدتُ أن هناك شيئًا غريبًا يحدث.

في الحادية عشرة والربع تقريبًا، كنتُ على وشك الانصراف بعد أن يئست من فَهم ما يدور، وإذا بمدام هويدا تأتي العمارة مرة أخرى وتدخلها مهرولة، وبعد لحظات شاهدتُ سيارة إسعاف تأتي ويخرج منها مُسعفين يدخلان العمارة، ثم رأيتُهما يحملان مدام هويدا ويخرجان بها على سرير الإسعاف.

اقتربتُ من بعض الناس، وعرفتُ منهم أن الدكتور قُتِلَ في عيادته، جريتُ في الشارع كالمجنون، وركبتُ أول تاكسي، ورجعت منزلي وكل أوصالي ترتعد.

بعد مُضي الوقت بدأت أهدأ، وهداني تفكيري إلى أن مدام هويدا خططت لقتل زوجها، وكانت تستخدمني في تنفيذ مخططها.

صرخت هويدا وهي تبكي قائلة:

- أقسم لكم لم أقتله، أنا دخلت العيادة فوجدته مقتولًا.

بهدوء شديد قال محمود:

- هل من الممكن أن تعترفي لنا بما حدث؟

بصوت منكسر قالت:

- كل ما حكاه أشرف حقيقة، بالفعل شعرتُ بالكراهية والغضب من أمجد عندما تأكدت أنه ينوي الزواج برشا، وعندما واجهته بالأمر، استهزأ بكلامي، وحدَّثني بطريقة مهينة، بل وهدَّدني بالطلاق.

نسى أنني تحمَّلت نزواته، وكافحت معه في بداية حياته، والآن يقذف بي في الشارع؛ ليستمتع مع امرأة تصغره بعشرين عام.

بالفعل خططتُ لقتله، ورتبت أن يتم اتهام داليا في الجريمة، لأن لديها دافع قوي لقتله، فقد أتت لي يومًا وحكت ما فعله معها وما نتج عنه من تدمير لحياتها.

اتصلتُ بها بعد أن حصلت على تليفونها من ملفها الموجود في العيادة، فأنا أعرف اسمها بالكامل ولا أعرف تليفونها.

أبلغتُها أني زوجة أشرف سكرتير العيادة وكانت داليا تعرفه جيدا، وأفهمتها أن أشرف اكتشف بالصدفة اسطوانة مدمجة على كمبيوتر أمجد بها تسجيل فاضح لها سجَّله لها أمجد، وطلبت منها مبلغ مالي نظير تسليمها هذه الأسطوانة.

ثم طلبتُ من أشرف أن يتصل بها لتتأكد من صحة الحكاية؛ لأنها تعرف صوته إلى جانب أني استخدمت تليفون

العيادة.

وبالفعل انطلت عليها الحيلة ووافقت على دفع مبلغ ثلاثين ألف جنيه مقابل أسطوانة الكمبيوتر، وحددث معها موعدًا في العيادة في الساعة العاشرة وعشر دقائق، يوم ارتكاب الجريمة.

رتبث أن أذهب للعيادة قبل العاشرة بقليل وأنتظر حتي ينتهي أمجد من أخر كشف، بعدها أدخل أقتله بمسدس أعددته لهذه المهمة، ثم أختبئ حتى تأتي داليا، وأصرخ بمجرد دخولها العيادة وأتهمها بقتل أمجد.

بالرغم أن بواب العمارة جديد ولا يعرفني، لكن خفت أن يتعرّف عليّ فيما بعد، فارتديت فوق ملابسي عباءة سوداء فضفاضة، ووضعث على شعري إيشاربًا وارتديت نظارة كبيرة، في محاولة لإخفاء وجهي، لكني لم أقابله.

عندما دخلتُ العيادة، فوجئتُ بأمجد مقتولًا، وبالرغم أني ذاهبة لأقتله، لكن صدّقوني كدت لحظتها أن يُغشى عليَّ من منظره، وشُلَّ تفكيري، ومشيت خارج غرفته وارتميت على مقعد حتى التقطت أنفاسي ثم خرجت أهرول من العمارة.

استعدتُ أعصابي في المنزل، بعدها قمتُ بتمثيل دور الزوجة القلقة على تأخر زوجها، وصعدت مع البواب، ومثّلت

على الجميع نوبة الإغماء.

اتصل بي أشرف مبكرًا في الصباح، يُبلغني أنه ينتظر التحقيق معه، ويسألني إن كان سيخبر البوليس بقصة ابن خالتي اللواء، فصرخثُ فيه وحذرته بألّا يفعل هذا، ولمّا سألني وماذا سيقول بشأن مغادرته العيادة مبكرًا، أخبرته ألّا يذكر ذلك، ويقول أنه غادر في موعده؛ حتى لا تحوم حوله الشبهات.

ثم سألني إن كان يذكر شيئا عن رشا، وبعد أن فكّرت قليلا أخبرته أن يذكر قصة زواجها من أمجد، وأعطيته الدليل وهو رسالة كنتُ قرأتُها يوما على موبايل أمجد تؤكد هذا الكلام، ولكني نبهت عليه أن يدَّعي أنه قرأها بنفسه على الموبايل، والحقيقة أني كنت أشعر نحوها بالغل والكراهية فخططت لأن أجعل الشبهات تحوم حولها.

أخبرني لحظتها أن هناك مريضة اتصلت به قبل مغادرته العيادة مباشرة، تُدعى حنان، وحجزت موعدًا عاجلًا وكان من المفترض أن تأتي في العاشرة، فهل يذكر سيرتها في التحقيقات.

وعلى الفور خطر ببالي أنه يمكن استخدامها كطعم لجذب انتباه الشرطة، ولربما تظن الشرطة أنها رشا وادّعت هذا الاسم.

فأشرتُ عليه بضرورة ذكرها، كما أوصيته أن يدَّعي أنها اتصلت مرة ثانية قبل انصرافه، وهذا سيضرب عصفورين بحجر، فمن ناحية يؤكد للشرطة أنه كان موجودًا حتى العاشرة، ومن ناحية أخرى تتصور الشرطة أنها تعمَّدت التأخر حتى انصرافه لتقتل أمجد.

قبل أن يُغلق الخط، فوجئتُ به يخبرني أنه رآني أدخل العمارة في العاشرة إلَّا ربع، وطالبني بمبلغ من المال ثمنًا لسكوته، وبالطبع أصبحتُ محل شك في نظره وخاصةً بعد أن طلبت منه الكذب في التحقيقات، ولم يكن أمامي إلَّا أن أطاوعه في كل ما يطلب، فطلبتُ منه أن ينتظر بعض الوقت حتى ينتهي التحقيق وتهدأ الأمور.

لكنه جاء بعد ثلاثة أيام يطلب مني مبلغ عشرين ألف جنيه كجزء من حقه، حتى أستلم التركة و بعدها يأخذ حقه بالكامل.

انهمرت الدموع من عينيها، وصرخت قائلة:

- نعم تمنيتُ موت أمجد، بل خططتُ لقتله، لكن أقسم أني لم أقتله.

وبنبرة المنتصر تكلم محمود:

- الآن بقى لدينا ثلاثة أشخاص بينهم شخص واحد بريء، فلنستمع لما ستقوله مدام داليا.

وبهدوء شديد تكلمت:

- كل ما قالته مدام هويدا حدث، وبالفعل ذهبتُ للعيادة مبكرًا عن موعدي، فوصلتُ قبل العاشرة بقليل، ووجدتُ أمجد مقتولا فخفت، وغادرتُ بأقصى سرعة، وأعتقد أن ما اعترفت به الآن مدام هويدا هو أكبر دليل على أني الشخص البريء هنا، فأنا لم أخطط أو أشترك أو أقتل، ولكن ذهبتُ بغرض أخذ الاسطوانة الخاصة بي.

فابتسم محمود وسألها بنبرة ماكرة:

- ولكن أشرف اتّصل بكِ بعد الجريمة، فلماذا اتّصل؟

- لم يخبرني أنه أشرف، طلب مني مبلغ نصف مليون جنيه ولم يذكر لي السبب، ولكني عرفته من صوته، وظننتُ أن اتصاله بسبب اسطوانة الكمبيوتر لكنه طمع في زيادة المبلغ، ثم خطر ببالي أنه ربما رآني أدخل العمارة وتصور أني القاتلة.

- ولكنه رأى هويدا تغادر قبلكِ مهرولة بل أنه تأكد أنها القاتلة، نستنتج من هذا أنه اتصل لأمر أخر، وأشار له بحركة مسرحية قائلًا:

- فلتخبرنا أنت يا أشرف لماذا اتصلت تهدّد داليا؟

تكلم أشرف بنبرة أكثر ثباتًا وقال:

- كانت سيارتها متوقفة بالقرب مني، جاءت تجري وظلت تبحث عن المفاتيح داخل حقيبة يدها بصورة عصبية، حتى أن بعض الأشياء بداخلها وقعت ولم تنتبه، وبسرعة ركبَتْ سيارتها وانطلقَتْ مبتعدة.

ذهبتُ أتفحّص ما سقط من حقيبتها، فوجدت بعض متعلقاتها الشخصية إلى جانب مسدس صغير، أخذته معي، وعندما رجعت منزلي اختلط عليّ الأمر، فلم أعُد أعرف مَن قَتل الدكتور أمجد، هل هي مدام هويدا أم مدام داليا؟

وأخيرًا قررت أن القاتل واحدة منهما، ولذا عليّ الاستفادة منهما معًا.

انتابت داليا نوبة من الانفعال وصرخت قائلة:

- نعم كنت أحمل معي مسدسًا، بل كنت مصمّمة على قتل أمجد في تلك الليلة.

جالت ببصرها بين الحضور، وبدأت تتكلم بصوت منكسر ودموعها تتخلل كلماتها:

- هل تعلمون شعور أنثى عندما تُحرم للأبد من مشاعر

الأمومة! هل تعلمون شعور أنثى عندما تعلم أن شخصًا أحبته بكل صدق وائتمنته على نفسها يصور لها فيلمًا فاضحًا!

صمَّمتُ على قتله في تلك الليلة، اتصلتُ بالعيادة في الساعة التاسعة والثلث، وتكلمت بطريقة عصبية وغيرت من صوتي حتى لا يعرفني أشرف، وادّعيتُ أني مريضة اسمها حنان ترغب في كشف عاجل؛ حتى أتأكد من وجود أمجد بالعيادة، حيث أنه كان يغادرها مبكرًا في بعض الأحيان، وبالفعل أبلغني أشرف بضرورة الوصول في العاشرة تمامًا.

ارتديتُ معطفًا طويلًا تُغطي ياقته معظم وجهي، وباروكة ذات شعر طويل بنية اللون، ونظارة كبيرة ذات عدسات سميكة، وقفازًا جلديًا في يديّ.

وصلتُ إلى العمارة في العاشرة، كانت خطتي أن أصعد أقابل أشرف وأعطيه النقود، وأتظاهر أمامه أني غادرت، وأنتظر خارج العمارة، حتي ينصرف، ثم أصعد مرة أخرى لأمجد.

كنتُ على يقين أن أمجد عندما يفتح لي باب العيادة لن يعرفني بسبب تغيير مظهري وشكلي، مما يُمهلني الفرصة لدخولي معه حجرته ثم أقتله بداخلها.

وصلتُ، فوجدتُ الباب مفتوحًا ولم أجد أشرف، وباب

حجرة أمجد مُغلقًا، فاعتقدت أن أشرف بالداخل مع أمجد، انتظرت قليلًا ولكن لم يكن هناك أي صوت داخل حجرة أمجد، فاقتربتُ من بابها، وأنصتُّ جيدًا، فلم أسمع أي صوت، طرقتُ الباب، ولمّا لم يردّ أحد، فتحته، فإذا بي أرى أمجد مقتولًا.

عادت تصرخ من جديد قائلة:

- نعم كنت أتمنى أن أقتله بيديّ، ولكن للأسف هناك من سبقني.

ساد صمت موحش داخل المكتب، وحدَّق الجميع في محمود منتظرين أن يعلن عن اسم القاتل، وبنبرة واثقة قال:

- بعد أن عرفتم ثلاثة مذنبين من بين الخمسة، وليس من بينهم القاتل، ولولا أنه سبقهم بدقائق معدودة لتبدَّلت الأدوار الآن، وكان من الممكن أن يكون القاتل هويدا أو داليا، ولكن قاتل أمجد هو... المهندس عادل الفيومي.

علت أصوات الجميع وتداخلت، وبقى عادل صامتًا لم يهتز له ساكن، وظلَّ يحدق في محمود الذي أشار بيده للجميع، وفي لحظة واحدة خيَّم السكون على القاعة وواصل محمود يقول:

- في الحقيقة طوال حياتي في البحث الجنائي لم تمرّ عليّ

مثل تلك الجريمة، ففي معظم الجرائم السابقة التي حققت فيها - إن لم يكُن كلها - كان ينتابني شك منذ البداية في شخص ما، ومع سير التحقيقات تتأكد شكوكي لتصبح يقينًا.

أمَّا هذه الجريمة، فمنذ اللحظة الأولى وأنا على يقين أن القاتل هو المهندس عادل، ولكن كل يوم كان هناك ما يُبعد شكوكي عنه، بل يكاد يُخرجه من دائرة الاتهام.

بدأت الحكاية عندما جاء عادل يخبرني أنه يرى أحلامًا منذ فترة، وهذه الأحلام تتحقق بالتفصيل، وأنه رأى في حلمه الدكتور أمجد يُقتل، وفي نفس يوم مجيئه لي قُتِلَ أمجد، فاستدعيته في مكتبي وكان أول مَن حققت معه.

صارحته بأنه أول المتهمين في هذه الجريمة؛ لأن أي إنسان في الدنيا لن يُصدّق حكايته بخصوص أحلامه، وأثبتّ له أن حكايته ستكون دليل إدانته، وطلبتُ منه أن يُقدّم لي دليل براءته.

فإذا به يردّ بكل بساطة أن دليل إدانته هو نفسه دليل براءته؛ لأنه لو كان هو القاتل لما جاء وحكي لي تلك الحكاية التي أدانته، خاصةً وأنه لا توجد بينه وبين القتيل أي سابق معرفة، فتركته ينصرف.

وكان هذا أول خطأ يقع فيه، فبسبب ردّه السريع والمنطقي

في تقديم دليل براءته، أصبحث على يقين من ظني أنه القاتل، لماذا؟

ليس من المعقول تحت ظروفه النفسية الصعبة (تم استدعاؤه في ساعة مبكرة جدا من الصباح دون معرفة السبب - من المفترض أنه فوجئ بمقتل أمجد - توجيه اتهام صريح له بالقتل)، أن يأتي بهذا الردّ السريع والمنطقي، إلّا في حالة واحدة فقط... أن يكون أعدّه سلفًا.

ثم يأتي الخطأ الثاني الذي وقع فيه ليؤكد صدق ظني في أنه القاتل.

فعندما قابلتُ زوجته كنتُ أعرف أنه لم يخبرها بزيارته الأولى لي، لكنني فوجئت أنه أخفى عنها أني استدعيته صباح يوم مقتل أمجد، بل أنها لا تعرف قصة أمجد على الإطلاق.

ولو كان بريئًا لكان أول شيء فعله بعد أن تحقق حلمه (بشهادة الشرطة) أن يخبرها؛ ليؤكد لها صدقه فيما رواه لها سابقًا وكانت تكذّبه.

ولكن مع سير التحقيقات اصطدمت بالآتي:

لا يوجد دافع للقتل.

لا توجد علاقة بين عادل والقتيل.

عادل فوق مستوى الشبهات من الناحية السلوكية والجميع يشهدون بدماثة خلقه.

أمّا أكبر معضلة واجهتني عندما علمت أن ليلة وقوع الجريمة، كان عادل في اجتماع مع صاحب شركة المقاولات ومقرها الشيخ زايد، وبدأ الاجتماع في العاشرة وخمس دقائق، وانتهى في منتصف الليل، حسبما جاء في شهادة صاحب الشركة، فمن المستحيل أن يرتكب جريمة قتل في مصر الجديدة في العاشرة ويصل الشيخ زايد في العاشرة وخمس دقائق، وحتى بعد اكتشافي أن توقيت الجريمة يُحسب بدءً من التاسعة والنصف، فكان من المستحيل أيضًا.

كما ترون كانت كل الشواهد تأخذني بعيدًا عنه، وأنا على يقين أنه القاتل، فتأكدت اني أمام قاتل عبقري، وأنا أصرّ أن أصفه بالقاتل وليس بالمجرم، وأعلم أن كثيرين سيختلفون معي باعتبار أن أي قاتل مجرم، ولكن انتظروا بعد أنتهي من حكايتي ولا تتعجلوا في الحُكم.

قررتُ أن أترك الدافع للقتل بصورة مؤقته، وأحاول الإجابة عن سؤالين فقط:

السؤال الأول «لماذا اختارني بالذات ليحكي لي حلمه؟!»

رأيث أن إجابة هذا السؤال ستكشف لي الكثير، وبالفعل

سألته في أحد لقاءاتي معه، فذكر عدة أسباب كان أهمها بالنسبة لي هو علمه بأن الإدارة تختارني للتحقيق في القضايا المعقدة، أو التي يُصاحبها صخب إعلامي، بالإضافة أن أحد أقاربه الضباط بالغ في مدحي عنده، وأفهمه أنه لم تحدث جريمة فشلت فيها في الوصول إلى الجاني مهما كانت عبقريته.

هنا تأكدت أن اختياره لي متعمّد، فهو يعلم أن جريمة قتل طبيب نفسي شهير ستكون بالتأكيد الخبر الأول في كل وسائل الإعلام، وبالتبعية سأتولى التحقيق فيها.

ومما لاشك فيه أيضًا، أن كلام قريبه عني بعث في قلبه الخوف، ولأنه ليس بمجرم وشخص مُحترم ذو فطرة طيبة، فكان دائم الشك في مقدرته على تدبير خطة مُحكمة للقتل، فتصور أنه عندما يأتي لي سيأمن جانبي؛ لأني سأكون الشاهد على براءته.

ويجب أن أعترف له الآن أنه لو لم يأتِ لي، لكان من الجائز جدا أن تكون أول قضية أفشل فيها.

أمّا السؤال الثاني «كيف انتقل عادل من مصر الجديدة إلى الشيخ زايد في أقل من نصف ساعة وفي وقت لم تهدأ فيه حركة السيارات؟!»

شرب محمود بعض الماء، ثم ابتسم قبل أن يواصل:

- ويجدر الاعتراف بأن زوجتي دائمًا تساعدني دون أن تدري في حل قضاياي، وبالأمس سألتها عن اعتقادها في تحقيق الأحلام، حكت لي عن قريبة لها كان مشهود لها بصدق أحلامها، ولكنها كانت أحلام متنوعة (وأنا أعتبره خطأ آخر وقع فيه عادل لاختيار أحلامه كلها خاصة بالقتل).

ثم أخبرتني أنها ستحضر اجتماعًا لجمعية خيرية هي عضو فيها، في منزل رئيسة الجمعية بدلًا من مقر الجمعية؛ نظرًا لظروف صحية ألمَّت بها.

على الفور أدركت أني وقعت في خطأ عندما اعتبرت بصورة تلقائية أن اجتماع عادل عُقد في مقر الشركة ولم أتأكد.

على الفور اتصلت بالمهندس خالد صاحب الشركة، وسألته عن مكان انعقاد اجتماعهم، فعرفت أنه عُقِدَ في منزله، واكتشفت أن منزله يبعد أمتار عن عيادة أمجد.

وأخيرًا لم يبقَ مجهولًا إلّا الدافع للقتل، فقمتُ بمحاولة أخيرة لعلّني أعرفه.

طلبتُ من الرائد سامح أن تتوجه قوة لإحضار عادل على أن تذهب القوة في وقت مبكر في الصباح، ومن المؤكد أن

هذا سيوقع الرعب في قلب زوجته.

وبالفعل بعد أن وصل عادل إلى هنا، اتصلتُ بها وأنا أعلم أنها ستكون في أضعف حالتها النفسية، وستعترف بأي شيء تعرفه دون أن تُفكّر، بالرغم من يقيني بأن عادل أبعدها عن كل الأحداث لخوفه عليها، وتأكدت من ذلك عندما تعمّدت أن أطلب منه صورة بطاقتها بالرغم استطاعتي الحصول عليها دون معرفته، فرأيتُ في وجهه خوفًا وقلقًا لم أرهما من قبل.

سألتها عدة أسئلة، وتأكدت منها أن عادل لم يعرف أمجد قط، ثم سألتها عن ظروف وفاة ابنها الوحيد، فعرفتُ أنه تُوفيّ بعد أن صدمته سيارة مسرعة وهو يعبر الطريق، وللأسف كان والده ينتظره على الرصيف المقابل، وأخبرتني أنه رأى أرقام السيارة، لكنه رفض أن يُبلّغ؛ لخوفه أن تكون الأرقام خطأ.

وهنا وضعتُ سيناريو آخر للأحداث، لماذا لا يكون عادل التقط أرقام السيارة وبالفعل لم يكن واثقا من صحتها، ثم ذهب إدارة المرور وكشف عن السيارة، فوجد نوعها الذي يعرفه مطابقًا للأرقام، فتأكد أنها هي، وكان مالك السيارة هو... الدكتور أمجد.

تأكدَ لحظتها أن القضية ستنتهي على أنها قتل خطأ، وستكون العقوبة مع وقف التنفيذ وذلك لحيثية صاحب

السيارة.

هنا صمَّم على أن ينتقم لوحيده بنفسه دون أن يخبر مخلوق حتى زوجته، واستمر طوال تسعة أشهر يخطط للجريمة.

تردد عدة مرات على العيادة؛ ليتعرف على العاملين فيها وأنظمة العمل بها، بل وأقام علاقة طيبة مع أشرف، ولكنه لم يذهب بصورته وشخصه، وإنما كان... المستشار خيري الرجل العجوز.

حدد موعد الجريمة، وحجز موعدًا للكشف في التاسعة والنصف، ذهب العيادة قبل التاسعة والنصف بخمس دقائق، طلب من أشرف شراء بعض المستلزمات من سوبر ماركت بجوار العمارة؛ ليبعده عن العيادة لبعض الوقت وطمأنه بأنه سيستأذن له من الدكتور.

لكنه فوجئ بأشرف يعتذر؛ لأنه مضطر لمغادرة العيادة، فشعر أن القدر يساعده لتنفيذ مهمته، دخل على أمجد وقتله في الحال.

وحتى يجعل القتل يبدو كما لو كان بدافع السرقة، أخذ النقود الموجودة بالظرف وساعة يد أمجد وجهازي المحمول.

لم تستغرق العملية أكثر من دقائق قليلة غادر بعدها

العيادة، وذهب لمنزل صاحب الشركة لحضور الاجتماع.

ولكن لماذا اتّصل أشرف بعادل بعد مقتل أمجد؟

لاحظ أشرف وهو يراقب العمارة، أن المستشار خيري بعد خروجه من العمارة بعدة أمتار، مشي دون استخدام عصاه، واختفى انحناء ظهره، راقبه حتى دخل سيارته، فوجده ينزع باروكة على رأسه، ويلقي بنظارته الطبية السميكة إلى جواره، فرآه شخصا أخر، لكنه لم يفهم تصرفه ولم يهتم، ولأنه مستشار فلم يكن محل شك عنده مطلقًا.

عندما أعطيث أشرف صورة عادل وسألته إن كان يعرفه، تذكّر لحظتها أنه المستشار خيري بعد أن أزال تنكره، ولكنه أنكر أمامي معرفته به.

اكتشف لحظتها أنه عثر على صيد أخر من الممكن أن يكون هو قاتل أمجد، وقرر أن يتصل به، ولأن عادل كانت بياناته كلها زائفة، فلم ينجح أشرف في الوصول إليه.

لكنه تذكّر أنه قبل مغادرته العيادة، استأذن عادل واستخدم موبايله؛ للاتصال بزوجته بدعوى أن رصيده قد نفذ، وأبلغها وقتها أنه سيتأخر عن العودة للمنزل (وكان هذا خطأ أخر لعادل، وقع فيه بسبب توتره النفسي ؛لأنه كان على بُعد أمتار من ارتكاب جريمة قتل وهو ليس بمجرم).

هرول أشرف يفتش في تليفون زوجته حتى وجد الرقم واتصل به، وهدَّده بفضح شخصيته ما لم يدفع له مائتي ألف جنيه، بعد أن أخبره بتعرّفه عليه بالرغم من تنكره.

لم يبقَ أمامي إلّا الإجابة عن سؤال واحد استوقفني طويلًا طوال تحقيقاتي في هذه الجريمة، لماذا ترك عادل سلاح الجريمة على المكتب؟

ربما تظنون أنه ترك سلاح الجريمة لأنه غير مُرخّص فلن نستطيع الوصول لصاحبه، وليس عليه بصمات، وحتى لا يُكلّف نفسه عناء التخلص منه.

وأنا معكم في ظنكم، ولكن بعد أن عرفت الدافع للقتل، أتصور أن السبب الرئيسي كان نفسيًا في المقام الأول، فهو أراد أن يُبلغ الجميع أنه ليس مُجرمًا، ولن يستخدم هذا السلاح مرة أخرى.

أجال محمود ببصره بين الحضور وقال:

فهل أدركتم الآن لما صمَّمتُ من البداية على أن أصفه بالقاتل وليس بالمجرم.

خيَّم الصمت على الجميع، وترقرقت عيون النساء بالدموع وهن يتجهن بأنظارهن نحو عادل، الذي وقف وترك مكانه وتوجه لمحمود، صافحه وقبَّله واستئذنه في أن يتكلم،

وبنبرة منكسرة قال:

- صدّقني يا سيادة العميد كل ما يُقال عنك أقل بكثير مما تستحقه، وبعد أن سمعت ما قالته مدام هويدا ومدام داليا عن أمجد، فلن أقول أني أعترف بقتله، ولكن أقول أني تشرفتُ بقتله.

فقط شيء واحد أريد أن أوضحه، فأنا لم أقتله بناء على بيانات السيارة فقط، فمن الممكن أن يكون مالكها لكن شخصًا أخر كان يقودها.

ولكنه بعد أن صدم ابني، أوقف سيارته على مبعدة، ووقف بجوارها بكل خِسّة يشاهد نتيجة فعلته، فناديتُ عليه متوسلًا أن يساعدني في نقل ابني لأي مستشفى.

وقف على بُعد يفكر لحظات وصرخاتي لم تنقطع، ثم دخل سيارته وانطلق مسرعًا متصورًا أن نور الفجر الضعيف لن يجعلني أتبين وجهه، ولكن لم يعلم أن صورته حُفِرَتْ في عقلي.

أنهي عادل كلامه، وربت محمود على ظهره، وفجأة... أطلق صرخة مكتومة ووضع يده على صدره، ثم وقع مغشيًا عليه.

في دقائق معدودة حضر رجال الإسعاف، وتم نقله للمستشفى مصابًا بنوبة قلبية حادة.

***

بقى محمود مع اللواء الشوربجي في مكتبه، بينما انتقل الجميع برفقة الرائد سامح لمكتب محمود ينتظرونه، ودار بين محمود والشوربجي الحوار التالي:

- ماذا سنفعل يا افندم بخصوص المذنبين الثلاثة؟

- ماذا ترى أنت يا محمود؟

- بخصوص داليا، لم تستفد من تخطيطها للقتل، ولكنها متهمة بإخفاء معلومات عن العدالة في جريمة قتل، لكن في نفس الوقت كان مبعثها الخوف، بالإضافة أنها عانت كثيرا في حياتها، فأرى أن يكفيها ما جرى لها.

أمَّا هويدا، لم تستفد من تخطيطها للقتل، ولكنها اختلقت وأخفت معلومات أعاقت سير العدالة في جريمة قتل، فذنبها أكبر.

ولكن لها ابن في الجامعة يعيش الآن صدمة مقتل والده، فلو عاقبنا أمه سنضاعف من صدمته ويعلم الله وحده أي مصير ممكن أن ينتظره بعد أن يفقد والديه بهذه الصورة، وخاصةً بعد أن يعلم أن أمه كانت تخطط لقتل أبيه، ولو سامحناها سنحافظ على شاب ذو خُلق ينفع المجتمع.

بخصوص أشرف، يشترك مع هويدا في التُّهم المنسوبة إليها عدا التخطيط للقتل، إلى جانب محاولة ابتزازه للجميع.

ولكن جاءتني في ساعة مبكرة من صباح اليوم زوجته تحمل طفلة على كتفها عمرها أربع سنوات، وتوسلت لي أن أسامحه، وعرفتُ منها أن أشرف هو عائلهم الوحيد، فلو حبسناه لتشردت تلك الزوجة المسكينة وابنتها.

إلى جانب أني عرفت شخصيته جيدا وأثق أن بداخله إنسان طيب، وسيكون هذا درسًا له لن ينساه.

ضحك الشوربجي وقال:

- بعد أن جعلتني أرى لأول مرة في حياتي جميع المشتبه فيهم مجتمعون على مائدة واحدة، ويعترفون عن طيب خاطر دون أدلة حقيقية ضدهم، فلا أستطيع إلّا أن أقول «افعل ما تريد».

قام محمود واحتضنه وغادر إلى مكتبه.

***

بحلول المساء، انصرف الجميع وبقى محمود في مكتبه وبقيت معه رشا، فناولها ورقة مطوية وقال:

- هذا هو إيصال الأمانة الذي كتبتِه لأمجد، وإياكِ أن تفعلي

هذا مرة أخرى.

نظرت فيه بفرحة غامرة وقالت:

- كيف حصلت عليه؟

وبنبرة ثقة قال:

- هل لا زلتِ لديكِ شك في قدراتي، ولكن سأخبركِ، كنتُ متأكدًا أنه في حوزة هويدا؛ لأني فتّشت العيادة جيدا ولم أجده.

وقبل مغادرتها من هنا سألتها عنه، وعلى الفور اعترفت لي أنها وجدته بعد وفاة أمجد في مكتبه بالمنزل، فأرسلت معها أحد الأمناء ليستلمه منها.

ابتسم وأردف:

- أتصور أن الدنيا عادت تبتسم من جديد، فعليكِ ألّا تُضيّعي هذه الفرصة وباديليها أنتِ أيضا الابتسام.

ابتسمت ابتسامة جميلة كشفت عن وجه جميل، وقالت:

- مهما وصفت لك اعجابي بك، فلن أستطيع أن أعبر لك.

شكرها محمود، فعادت وقالت وعينيها تفضح مشاعرها:

- هل تأذن لي أن تكون صديقي من الآن.

بنبرة مملؤة بالجد والوقار ردَّ:

- منذ الآن لكِ أخ كبير يمكنكِ أن تلجأي إليه في أي وقت.

ثم ضحك مقهقهًا وأردف:

- لا تنسي أن كل مصائبكِ تبدأ بالصداقة، وأنا لا أريد أن أتولى قضية تكون ناهد زوجتي هي القاتلة، وتكوني أنت القتيلة.

ملأت ضحكاتهما المكتب، وودَّعته بعد أن وعدته أنها ستكون من اليوم إنسانة مختلفة.

***